

على احمد ذباكير

# هُمام

فني بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية





هَمَّام

في بلاد الأحقاف



# هَمَامٌ فِي بِلَادِ الْأَحْقَافِ

مَسْرُوحِيَّةٌ شَعْرِيَّةٌ

نَظْمٌ

عَلَى أَحْمَدَ الْبَكْتَرِ

الناشر  
مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة



## مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت ، وكتبها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكان لها صداها في الأوساط الحضرية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمد الصبان مقترحاً إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارها وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمي ، فرافقته على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًا له التوفيق فيما يتوخاه من خدمة أمتنا العربية .

المؤلف

علي أحمد باكثير

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥

القاهرة

٣ أغسطس ١٩٦٥

## تصدير

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدراما الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلبا خفقا  
ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المترامية الأكفاف ، ولهذه  
الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض  
الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه  
قبساً من نور بهي .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ،  
ولهذا تجددت فيه الروح الناهضة ، التي أوحى إليه بهذه الدراما .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائرا على حالة وطنه  
الراهنه ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في  
الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحاً  
تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة





وهذا البطل موزع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه  
ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة  
تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ،  
ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صوراً من الحياة  
الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف - بالرغم من هذه الثورة المضطربة في نفسه - لم يزل  
يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بالألفاظ قريبة إلى روح الشعب ،  
فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سخط الساخطين وحنقهم . وله الحق في  
ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما ختمت به لكان ذلك أشد وقعاً وأجلّ  
أثراً ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين  
يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة  
ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر  
وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ - ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

## الإهداء

إلى مصدر الوحي الأول !  
إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى  
إليّ !  
وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

### هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،  
وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

## تمهيد

|               |                                    |
|---------------|------------------------------------|
| مكان الرواية  | : مدينة (سيون) عاصمة حضرموت الداخل |
| زمن الرواية   | : العصر الحاضر                     |
| أشخاص الرواية | :                                  |
| همام          | - بطل الرواية                      |
| حُسن          | - حبيبة همام                       |
| محمد          | - صديق همام ونصيره في المبدأ       |
| علوية         | - نصيرة وحبيبة محمد                |
| زهراء         | - أخت همام                         |
| خديجة         | - أم حُسن                          |
| شهاب          | - عم حُسن ووكيل أبيها              |
| ولي الله      | - خرافي دجال يتجر بدينه            |
| سام           | - صديق محمد                        |
| الأمير أحمد   | - أمير البلاد                      |
| بكر           | - غني يطلب يد حُسن                 |

|                                     |                 |
|-------------------------------------|-----------------|
|                                     | أحمد            |
|                                     | عقيل            |
| جماعة من الأدباء                    | ابن عيسى        |
|                                     | عبد الله المغني |
| بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل | عامر            |
|                                     | ناهيمة          |
| أخوات عامر البدوي                   | سعدى            |
|                                     | لبنى            |
| رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات     | نكرات مسرحية    |

## الفصل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزان مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمدداً وهي الأركان ، يتن أينا خفياً يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل : »

### المشهد الأول

زهراء : أخي ما بك اليوم ؟ إنني أرا ك قليل النشاط كثير الضجر  
أأنت مريضٌ وقيت الشُّرو ر ، وبلغك الله طول العُمر

همام : أى إن بي مرضاً في القوا د يا زهراً يُذيرني بالخطر  
ولا تجهلين ماذا يصيرنو لك مما بدا منه أو ما استتر  
فماذا وراءك ؟ هل من جديد سد يحفف من وجدي المستعير ؟

زهراء : أخي لا تخف في الهوى أن تخفد بء ؛ وهل يجهل الناس فضل القمر ؟  
ولا تجعلن ليأس إليك سبيلا ففي اليأس فوت الوطر  
أيأس متلك وهو الرّيح في الكفّ الشّالات الأخر ؟  
فأحرى بغيرك أن يستريح إلى اليأس . لا بد أن تتصير  
كأنّي بثمن تُزف إليك عروساً تلم ذبول الخفس  
تحيط بها الغانيات الحسا ن كالهدر بين النجوم الزهر

كَأَنِّي بِأَيَاتِنَا قَدْ غَدْتُ    تُصَفِّقُ بِالْفَرْحِ الْمَزْدَهَرِ  
وَأَنْتِ عَرُوسٌ تُحْيِي الْوَفُو    وَتُخَطِّرِينَ صَفُوفَ الزُّمَرِ

هُمام : أَزْهَرَاءُ لَا عَدِمَتْكَ الدِّيارُ    رُ ، حَدِيثُكَ يَقْشَعُ عَنِّي الْكَدَرُ  
لَأَنْتِ الْعِزَاءُ إِذَا مَا أَتَيْتِ    وَأَنْتِ الْهَمَاءُ وَأَنْتِ الْحَبْرُ<sup>(١)</sup>  
فَأَيْنَ الْكِتَابُ ؟ أَمَا تَقْرَأِينَ ؟

زَهراء :    بلى ! إِذَا الْكِتَابُ مَعِيَ قَدْ حَضَرَ  
كِتَابُ كَرِيمٍ خَلِيقَ بِهِ    بَأَنْ يَكْتُبُوهُ بِسُورِ الْبَصَرِ  
«بَلُوغُ الْمَرَامِ» وَ«سُبُلُ السَّلا    م» عَلَيْهِ تُحَجَّلُ مِنْهُ الْغُرَرُ  
أَحَادِيثُ طَهٍ وَأَيُّ الْكِتَابِ    ب تَلَأَوْ فِيهَا خِلَالَ السَّطَرِ  
وَأَقْوَالُ مُجْتَهِدِي الصَّحْبِ وَالْأَكْمَرِ    مِنْ كُلِّ حَبْرٍ أَهْرُ  
فَيَأْخُذُ مِنْهَا الْفَتَى مَا صَفَا    وَيَتْرَكُ مِنْهَا الْفَتَى مَا كَثُرَ  
وَمَنْ لَأَذَى مِنْ بَعْدِهَا بِالْهَوَى    فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمُسْتَقَرُّ

« يَتَبَسَّمُ هُمَامٌ إِعْجَابًا بِهَذِهِ الرُّوحِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الَّتِي وَفَّقَ  
لِبَدْرِهَا فِي نَفْسِ أَخْتِهِ . وَتَعْرِفُ هِيَ أَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ  
تَسْلِيَةً لَهُ وَتَهْدِئَةً لِأَفْكَارِهِ الْمَضْطَّرَّةِ فَتَطْرُدُ فِي حَدِيثِهَا » :

فَلَا سَلِمَتْ كُتُبُ الْجَامِدِينَ    وَلَا فَازَ قَارِئُهَا بِالْوَطَرِ  
صَحَائِفُ لَا رُوحَ فِيهَا وَلَا    يَجُولُ بِهَا ذِكْرُ خَيْرِ الْبَشَرِ  
يُصَوِّرُ فِيهَا مُحَالُ الْأُمُورِ    ر ، وَيُتْرَكُ فِيهَا مُهِمُّ الصُّورِ !  
فَتَلُكُ الْجَوَاهِرُ أَيْنَ الرَّمَا    لُ مِنْهَا وَأَيْنَ خَسِيسُ الْحَجَرِ ؟

« يستولى على همام الالبساط ويأمر أخيه بالقراءة فقرأ الفصلان

الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضاً عليك أن تتشبرى هـ  
فهدى الشعب من هدى أمهم  
وبنات الأحقاف أولى بأن يخلق  
وبأن يطهرن من لؤ  
فيريّن الحياة من غير معنى  
زهراء : يَطْب يا همام نفساً فما تر  
ولقد سرّنى استماعُ صديق  
هُمام : بارك الله فى الصغار ففيهنّ  
إنما التّروّ فى العجائز يجمّد  
زهراء : نحن بالأمس ثلّة ضمنا مجلس  
ولدينا شريفة جمعتُ حسناً  
سمعتنى - ولست أعرفها - أَل  
سُقتُ من أخبار الشهيرات فى  
شاقهن الحديث عن سيّدات  
ثم حرضنهن أن يتشبهن  
قلتُ ليس الرجالُ أولى بكس  
ومن العلم ما يُعرفنا الدين  
وأهم الأمور تربية الأور  
صاحباتُ الزمان نحن ! حياة الف  
إن نشأ فالورى بنا سعداء  
لنا الهدى فى جماعة النسوان  
بات الشعب فى كل موطن وزمان  
من شتى العلوم والعرفان  
ث الأوهام مما يخلّ بالإيمان  
غير تلك الحياة وهى معانى !  
جو سأسعى فيه بغير توان  
تلى لقولى وقدرهن مكانى  
قبولٌ للحق إمّا دُعينا  
ن جمود الحصى فلا يتبدلنا !  
عُرس فى بيت جار أينا  
ولطفاً جمّاً وعقلاً رسينا  
قى على الحاضرات درساً مينا  
الإسلام ما ردهن لى يُصغينا  
فقن بعض الرجال علماً ودينا  
بتلك الشمس أو يقتدينا  
ب العلم منا فإننا مُستونا  
ومنه ما سدّ فإننا مُستونا  
لاد كى ينشأوا من العاملينا  
خاس فيه والموت فى أيدينا !  
وشقاء حياتهم إن شينا



فعلينا لرئنا واجبات ليس نيرا من إلهها ما بقينا  
كيف نستطيع بالجهالة يوما أن نسودي أمانة الله فينا ؟  
صحن في أسمع الرجال : أليس من العلم فرضاً على النساء مينا ؟  
فيم غادرتم البنات على جهل وقمتن تعلمون البنينا ؟  
هل أقمتن مدارساً للواتي إذ أقمتن مدارساً للبنينا ؟



فدنت تلك الشريفة مني وحتني من النساء فنونا  
ثم قالت : عن تلقيت هذا ؟ قلت عن صئوي الذي تعرفينا  
عن همام . قالت همام أضحي بحسن بين الوري مفتونا ؟  
والذي يذكرون عنه ابتداءً بحس هذا الوري وما يفترونا !  
إنني قد أنست من قولك السا لفروحا قباضة ويقبنا  
فساءلت من يكون الذي لقد من هذي الهدي تلقينا ؟  
فذكرت امرئاً جعلت فداً ه دون ما عابه به الجاهلونا !  
ليتى أستطيع أن ألقى عن ه شيئاً ! أني لذا أن يكونا  
قلت : نفسي فداك يا ابنة طه أنتم آل بيته الأكرمونا  
ليس بدعاً أن تنصروا سنه لالهادي بنصرها قمونا  
إنما البدع أن يكون بنو المعه ستار عن هدبه من الناكينا !  
غير أن ما رأيت مثلك في نسه وة «سيئون» تعشق المصلحيننا  
إن سرراً في الأمر يحسن لو أد ريه ، قالت يسرني أن يينا  
نحن من بيت سادة بكره الدج مل ويأبى من الأمور الدونا

جدُّنا الأكبر الشريف « عقيل »

سن نهج الهدى لنا ما حيننا  
عندنا من آثاره « سيفه المسلولو

ل « يفري أو هامهم والظنوننا

\* \* \*

بلعى عني السلام هماما ورجائي إياه في الناحينا  
وغدا نلتقي وعرسك الرحمن من قلت الرحمن يقيك فينا  
همام : بارك الله فيك اهدى فتاة من سليل الأفاضل الأطهرينا  
جدُّها كان في الحجاز منارا للمعالي يؤمُّه الطالبوننا  
ذب عن سنة النبي ولاقى من بني قومه أذى وفوننا  
رب آمن بالوزرات أئت الله أرسلتها لنا قانوننا  
هذه روح جدُّها ، رب وفقها وآزر بسعيها الناهضينا  
« بلغت إلى زهراء مسائل » :

الديها روج ؟

زهراء : قضى زوجها النحر صب صغيرا لم يبلغ العشرينا !  
وقضى قبل روحها أبواها فهي ثكلي تعيش عيشا حزينا  
خبرتني عنها سميدة إذ كانت قد استخلِمتُ لديهم سنينا  
همام : من يليها إذن ؟

زهراء : شقيق أبيه عالها رغم كونه مسكينا  
همام : ذكرينا لكي نواسيه القين سنة بعد الأخرى .  
زهراء : أصبت قمينا

- همام : لم تجد بعد زوجها خاطبًا ؟  
زهراء : لا .  
همام : أو ليست حسنا كما تذكرينا ؟  
زهراء : بل هي الحسن كله - عليم الله - متاع الرائين والسامعينا !  
همام : غير أن الثَّبابَ في هذه الأنحساء بالحسن ليس يحتفلونا  
إنما ينظرون للمال فالما ل هو الزوجة التي يخطبوننا  
وَيَرَوْنَ الكمالَ في ذات أم لا يُرى زوجُ بنتها مغبونا  
تتوخى رضاؤه في كل حين فترىه من الطعام فنونا  
فكان لم يكن لديهم من الحب سوى ما يسد منهم بطونا

### المشهد الثاني

« في القاعة الكبرى للمدرسة حيث تقام الحفلة السنوية  
وقد حضر إليها الناس من كل الطبقات ليشاهدوا التلاميذ  
ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .  
التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطون  
بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعطي منصة الخطابة » .

يا بني مدرستي إننى لكم ناصحٌ يصفىكم النصيح أمين  
لبنات الشعب أنتم فليكن كلُّها من ذلك الصِّلب المتين  
إنَّ برنامجَ تدريسيكم ليس برنامج قوم مرتقين

ترهقون النشء بالحفظ فمين حفظ تقرير إلى حفظ متون  
ليس في ذاكم لهم من صالح إنه يقتل فهم الناشئين  
فدعوا الحشو ورئوا فيهم ملكات الحذف في كل الفنون  
استقوا التوحيد من ينبوعه وانزلوا كتب الصفات الأربعين  
لا تريد النفس إلا حيرة لا كأسلوب الكتاب المستئين  
لم تولف لكم هاتيك ، بل ألفوها لحجاج الملحديين  
واقصدوا في الفقه لا يأخذكم ليس في الفقه غذاء الناهضين !!

« أحد الشيوخ يقوم ويحاول تسكيت همام ويصيح : »

يا عباد الله ! هذا مارقٌ يندب الناس إلى دينٍ جديد  
أسكروه أسكروه ! إنه يا عباد الله شيطان مريد  
شيخ آخر : هذا وهابي !

ثالث : هـ هذا معتزلي !

رابع : سلّوا فاه

خامس : لا تدعوه بغوي الناس !

سادس : هذا ما كنا نخشاه !

« همام رافعاً صوته في شيء من الغضب : »

أنا لا أصغي لتسكيت امرئ أنا لا أخشى صياح الصالحين  
خطبتي لا بدّ من إتمامها

شيخ متنور : أتمم الخطبة إنا سامعون

لا تُبل ؛ من رام أن يقطعها فليقم إن شاء في المنصرفين

همام : أنا لم أذُغْ إلى غير المُهْدَى وإلى غير نُهْوض المسلمين  
أنقِمتُم دعوة الناس إلى سُنَّة المختار خير المرسلين  
« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يا شباب الحبي ، لا يُقصكم عني مقالُ الجامدين !  
.. .. .. ليس في الفقه غذاء الناهضين !  
اقرأ وافقه حديثُ المصطفى تعبروا الشكَّ إلى برد اليقين  
لا تهابوا اليومَ أن تجتهدوا إن سرَّ العلم للمجاهدين !!  
وكتاب الله باقٍ خالدٌ تنجلي آياته في كلِّ حين  
ادرسوه درسَ أحياء ولا تدرسوه دَرَس قومٍ ميّتين  
ادرسوه وفقَ نهجِ خطِّه (مصلح الإسلام<sup>(١)</sup>) ذو الفضل المبين  
إنه يشعل في أنفسكم جنوةَ الدين وعِزَّ المؤمنين  
إنه يبعث في أرواحكم قوةً هائلةً لا تستكين  
ففتح الدنيا بها أسلافنا من ربى الغرب إلى السور المكين  
وأضعناها فهُنَّا بعدها وغلبونا مُضغَّةً للأكلين  
ليست الأخلاق لينًا في الخُطى وخضوعًا هو للنفس مهين  
إنما الأخلاق أن لا تُبْطِنوا غير ما للناس أنتم تظهرون  
إنما الأخلاق أن لا تتركوا نصرةَ الحقِّ للوم اللامنين  
رفعَ الإسلام من أنفسكم فارفعوها عن دعاء المقبرين  
لا تنلُّوا لسوَى الله ، ولا تخضعوا إلا لربِّ العالمين

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

لَلَّهِ مَا أَفْصَحَهُ !

الآخر : والحق - والله - معه !

الأول : لكن هؤلاء لا يغفوننا أن نسلم معه

الثاني : أقواله مؤلدة هؤلاء موجبته

الأول : لأنها تقطع ما كان لهم من منفعة

همام : حكموا الأنصاف فيما بينكم لا يكن قوم لقوم حاقرين

فالمساواة على أعذليها ميزة الإسلام عند الباحثين !

وأحر الحق إذا لم يُعطه أخذ الحق انتهاياً باليمين

\* \* \*

### المشهد الثالث

« بهو كبير - في دار أحد أدياء البلد - مفروش بالبسط

الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانه برسوم فنية جميلة

للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضراء . جماعة من الأدياء

في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدين يشربون ويتحدثون .

أمامهم عدة شاي مصقولة يختطف بريقها الأبصار يتولاهما

أحدهم . يدخل همام مسلماً » .

همام : عموا مساءً يا أصلقائي

الحاصرون : مسيت بالخير والهناء

## أهلاً وسهلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى ينم فينا أبا العلاء  
 همام : في الدين أو في البيان ؟  
 أحمد : بل في كل الشؤون على السواء  
 همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بد من العدل في القضاء  
 « ملتفتاً إلى أحمد »

وأنت ماذا تقول فيه ؟

أحمد : إنني أراه في الأتقياء  
 همام : كلا كما قد غلا ، فهذا ذم ، وذا ليج في في الثناء  
 بل هو في شعره إمام جلد نهجاً للشعراء  
 لكنه كان في أرناب من دين مولاه وامتراء  
 فقال ما قال غير خلش ولا ملداج ولا مراء  
 وممكن أنه خطي في أخرى لياليه باهتداء  
 فرب شل أفضى بمولا ه - بعد ما حار - للجلاء  
 « تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كاماً »

شراب الشاي خير لي من الدنيا وما فيها !  
 إذا ما أقبلت كأس كعز في تهاديهما  
 قولي اللهم من نفسي ودانت لي أمانيهما !  
 عرفتم من هو القائل هذا الشعر في الشاي ؟  
 يرى في الشاي دنياه فما صحة ذا السراي ؟  
 ( أحد الأدباء ) : عليل

لا تعجن همام تلك حقيقة كالشمس فيها الشاربون سواء

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا ما لم يكن شايء ولا ندماء ؟  
 همام : إنَّ في الشايء عِزاً لصريع الهِمِّ والغَمِّ  
 لكَيْبٍ أو حَزِينٍ أو عَمِيدٍ أو مَتِيمٍ  
 حاز لُطْفَ الخمر إلا أَنه غير محرَّم ؟  
 من صفاء اللون في العين وحُسْنِ اللون في الفم  
 هو مَسْلاة أديبٍ فيه من بلواه مَقْصَمٍ  
 ورَسولٌ للتأخِي يجمع الناس وينظِّم  
 غير أنَّ القصدَ في الأشياء منجاةٌ ومَقْصَمٌ  
 ففلوْنا فيه حتى صار فينا يتحكَّم  
 وغدا وهو على القو ت الضروري مُقَدِّم  
 وشربناه بلا وزنٍ وتقديمٍ مُنظَّم  
 فلَكُم يَسْلُبنا الما لَ وكم يُسَقِّمنا كم  
 ولكُم أنْحى على يَتِ كَرِيمٍ فهُم مُقَدِّم  
 ولكم عائلَةٌ جرَّ عها صابئاً وعلقم  
 ولقد زاد بلاءً أَنه في قُطرنا عَمِّ  
 فهو في القصر ، وفي البست ، وفي الكوخ المرمم 11  
 عَقِيل - ملجئاً إلى «عبد الله» المغني :

يا ليل الأفرح والسُرور اصْدَحْ نَوْسِيَّكَ في الحضور  
 غن لنا شعر ( أبي كثير ) في الشايء وانثُر ميت القبور 1  
 ( يتهيأ المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب ) :  
 يا صاحب القلب الشقي بقومه إرفق بهذا القلب لا يتحطم 1



أخدم بلادك ما استطعت وكل إلى

مولاك ما لم تستطعه وسلم  
ومن الجفا أن لا تحيي مثلما حيَّك وجه العيد مبتسم الفم  
ذَرُ بعضَ همك واقض بعض حقوقه  
لا بدَّ للمحزون من مُتَبَسِّمٍ  
واقذف شياطينَ الموم بأكوس

تنفضُ من ( بُرَّاد ) شاي مُعَلِّم<sup>(١)</sup>  
مخضرة جناته فاعجب له من جنة حضراء فوق جهنم  
شاي يفوز من احتسائه بلثمة من كل حيلة في الحسان ومبسم  
من ( باسلامة ) مثل ذوب التبر أو

من ( مشعي ) مثل لون العندم<sup>(٢)</sup>  
مثل الطلا في لونها وصفائها ونقيضها في رجسها والمائم  
لا نقصَ عنها فيه إلا أنه خلَّو المذاق وأنه لم يحرم  
فاشره متخذاً نديمك كل ذي أدب متى نادمته لا تندم

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أجدت

آخر : لقد رَوَّحَ ستَ بالصوت أكباداً وأرواحاً

همام : وقد تفرد بالإحسان شاعرنا إذ ضمَّن الشعر توصيفاً وإصلاحاً

وأنصتوا لشاعر من شعرائكم سَبري

« الحامدي » يصف الشاي بوصف عبقرى !

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .

(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

رَوَّقَ لها ماء الغمام وهاتها لي والحباب يحول في جنباتها  
 صهباء ما عبت بها يدُ عاصر ما عاشرتْ إلا أكفَّ سُقَاتِهَا  
 من جَيْد الشَّاي استحال عصيرها  
 فغدت تحاكي الشهب في جاماتها  
 قد راق منظرها ورق زجاجها  
 فإلعللة لم يُلحقوا كاساتها  
 لولا انتصافُ الكاس خيل أنها  
 في كف ساقها تقوم بذاتها !  
 وإذا الموم على التديم تكاثفت  
 وبدت أشعتها جلت ظلماتها !

حقاً لدينا نهضة أدبيّة لا تُنكرُ  
 عمّرت نوادينا ، بها يستبشر المستبشر  
 نشط البيانُ فشاعرٌ يتلو وآخر ينثر  
 هذا لعمري مُؤذِنٌ بنهوضنا ومبشّر  
 ( يتنهّد )

لكنّ .. مَشْنِي العِلْم في أحيائنا متعثر !  
 جَمَد ( الفقيه ) على متو ن بالشُّروح تُفسّرُ  
 وكأنها التنزيل أو هي بالقداسة أجدر !!  
 ويرتل ( التَّحْوِي ) كُتِبَ خلافه ويقرّرُ  
 يمضي عليه عمره لا يستطيع يُعَبِّرُ !  
 أما ( الحديث فيهم يتلون كى يؤجروا  
 ووظيفة ( الذكر الحكيم سم ) على القبور يكرّرُ !  
 أمّا سوى هذي العلو فأمسره مُستحقّ قرّرُ

كيف النهوض لأمة لا علم فيها يُذكر؟  
 في الدين والدنيا جميعاً سيرها مُتَقَهِّرة !  
 أحد المتأدين ( معروضاً ) :

هَمَام  
 إِنَّا عَلَيْنَا السَّعْيَ لِلْـ      أَخْرَى ؛ وَلِلدُّنْيَا سَوَانَا !  
 أَوْ لَيْسَتْ الدُّنْيَا بِمِجْزٍ      مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا أَتَانَا ؟  
 اللَّهُ بِأَمْرٍ أَنْ نَكُو      نَ أَجَلَ أَهْلِ الْأَرْضِ شَانَا !  
 وَأَشْلَهُمْ بِأَسَا وَأَرْ      فَعِهِمْ وَأَعْلَاهُمْ مَكَانَا  
 كَيْمَا نَقِيمَ الْعَدْلَ فِي الْـ      دُنْيَا وَنَمْلَأُهَا أَمَانَا  
 فَإِذَا أَتَيْتُنَا مَا يَقُولُ      فَسَوْفَ يُدْخِلُنَا الْجَنَانَا  
 فَنَرَى بِهَا الدُّنْيَا كَسَجْدٍ      مِنْ لَا نَرَى فِيهَا رِضَانَا  
 وَالِدِينَ بِالدُّنْيَا فَلَيْسَ يَقْدِرُ      مَا ضَعُفَتْ قُوَانَا  
 وَطَبِيعَةُ الْإِسْلَامِ لَا      تَرْضَى الْمَذَلَّةَ وَالْهَوَانَا  
 هَذَا الْمُرَادُ ، وَحَسْبُنَا      قُرْآنُ مَوْلَانَا بَيَانَا

« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة  
 والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس » :

يا بني الأشراف قوموا وانهضوا  
 فكفى ما كان منكم من كَمَلٍ  
 اعملوا لا تترأثوا واعلموا      أَنَّ هَذَا دِينُنَا دِينَ عَمَلٍ  
 بينما الناسُ على أَعْمَالِهِمْ      بَيْنَ تَشْمِيرٍ وَجَدٍّ مَكْتُمِلٍ  
 تنهَادُونَ كَأَسْرَابِ الْقَطَا      وَتَمْشُونَ كَقُطْعَانِ الْهَمَلِ ؟  
 أفلا يغشاكم فيه جَبَا ؟      أَوْ لَا يُلْحَقُكُمْ فِيهِ خَجَلٌ ؟

أحدهم : إنهم أمتياعنا ينهوننا عن تعاطينا لأعمال السفلى  
 فعليها العلم أن نخدمه  
 همام : إن هذا الرأي منهم خطيل وأراكم لا تقرون الخطيل  
 فمتى عُذَّ من العار على سيِّد مسعاه في خير السُّبُل ؟  
 يجلب الخير إلى أهليه مِنْ والِدٍ أعمى وأم تبتهل  
 وأخيانٍ على أوجهها كُمدة اليأس ولألاء الأمل !  
 تمنى ما لدى جاراتها من أثاث وحليّ وحُلل  
 أو لم يكتسب المختار في عهده والآل والصحب الأول ؟  
 طالب العلم ولا كسبَ له بسؤال الناس لا بُدَّ يَلِـل  
 ليس من لم يكتسب متكلاً إنما الكاسب عين المتكل !

\* \* \*

أبني الرسول تعلموا وتدبروا سُنن الحياه  
 لا تجملوا ! إن الجمود سبيل من كره النجاه

\* \* \*

أسلافكم وجلودكم شهلوا عصوراً غير هذا  
 فلو أنهم شهلوه ما انتبـ ذنوا عن الدنيا انتبـ اذا

\* \* \*

لا تجعلوا أعمالهم حججاً ، ولكن تحصوها  
 فخذوا محاسنها وخطـ ذنوا ما ترون الرئب فيها

\* \* \*

لا بأس من تمجيد ذك — راهم ففي التمجيد ذكرى !  
كم حاضر تحت الرمـو س أفاده ماضيه نشرنا

\* \* \*

لكن بحيث يُهيب نحـ — والجحد منطلق القيود  
العصر غير العصر والـ أشبال أبناء الأسود !

\* \* \*

كانوا هداة الناس بل — كانوا ملائكة التقى  
قد أكبروا شأنَ الفنا ء وأصغروا شأنَ البقا

\* \* \*

لما سرت رُوحَ التصوّر — والتبتّل فيهم  
مقتوا الحياة كأنها أشياء لا تعنيهم

\* \* \*

فالموت همهمو ، وغا — ية همهم دار المآب  
فَعُنُوا لهذا بالقبو ر وما إليها من قباب

\* \* \*

وتعشقوا الموتى فأحـ — يوا لأذكّارهم المواسم  
يحلّون عندهم العزا عن عيش سوء غير دائم

\* \* \*

فقفوا أمامهم يحشـو — عا في سكون واحترام  
فقد انتقضت أدوارهم فعليهم أركى السلام

\* \* \*

شَهِدُوا زَمَانًا فِيهِ قَدْ غَلَبَ الْجَمُودُ عَلَى ذَوِيهِ  
أَنَلُوهُمْ ظُلْمًا لِأَنَّهُ كَانُوا فَرِيقًا مِنْ بَنِيهِ ؟

\* \* \*

إِنَّا لَنظَلِمُهُمْ إِذَنْ وَهُمْ اتَّقَاةُ الصَّالِحِينَ  
رَامُوا رِضَى مَوْلَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُونَ

\* \* \*

لَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلْحَقِيقَةِ طَالِبِينَ  
لَا تَقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ مُسَلِّمِينَ

\* \* \*

وَتَدَافِعُوا عَنْهُ — عَلَى جَهْلٍ — بِحَقِّ أَوْ بِاطِلٍ  
لِيَسْوَا مَعْصُومِينَ عَنْ خَطِيئَةٍ وَإِنْ كَانُوا أَفَاضِلَ

\* \* \*

الْيَوْمِ قَامَتْ نَهْضَةٌ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ حَيَّةٌ  
وَسَرَتْ إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ فِي حَيَاتِهِ الْأُولَى الْقَوِيَّةِ

\* \* \*

شَبَّتْ بِهَا الْحَرْبُ الضَّرُوءُ سَ عَلَى الطَّوَارِئِ وَالبَدْعِ  
عَمَّا بِهِ الْأَهْوَاءُ قَدْ مَا أَلْصَقَتْهُ وَالتَّيْبِغِ

\* \* \*

فَلَقَدْ هَوَتْ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحُضِيِّضِ الْأَوْهَدِ  
وَقَضَتْ عَلَى أَوْطَانِهِمْ لِلْمُسْتَبِدِّ الْمُعْتَدِي

\* \* \*

لا بدّ من هذا الرجوع إلى الكتاب الخالد  
وإلى هُدى المختار والـ سُلُف الحكيم الرَّاشِد

\* \* \*

فعليكموا أن تدخلوا هذا الغمار ولا تكفّوا  
أنتم بنو الهادي فما في سبقكم للفضل بدع

\* \* \*

كونوا مثال النبيل كو نوا قادةً للمسلمين  
والدين كونوا في طليعة ناصريه المصلحين

\* \* \*

واقضوا على الأوهام لا تحذّن بينكم نصيرا  
ومتى دعوتكم للصالح هديتم بشرّا كثيرا !

\* \* \*

وتعلّموا أن الورى في شريعة الهادي سواء  
ما الفضل إلا بالتقى والكل من طين وماء

\* \* \*

أما الثقاليد القديمة فاتركوها أجمعا  
أو لم تكن للفتنة العمياء فيكم مهيما ؟

\* \* \*

عاذّ جرت قدما يطول بها القوي على الضعيف  
العصر بمقتها ، وليس يقدرها الدين الحنيف !

( يرى ثلّة منهم يتهامون )

فيمّ تهامسون ؟ وممّ تعجبون ؟

( ينظر بعضهم إلى بعض ويحيب أحدهم ) :

القوم للذي قد قلت مُنكرون !

آخر : يقولون ترشّدت !

همام : وهل بالرُّشدِ مِنْ لوم ؟

فهذا ( قُطِبَ الإرشاد ) ( د ) ربّ الفضل في القوم !

أحدهم : نحن نعنى فئة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جامرنا بالعِلما في ( جاور ) وبوادي ( حضرموت ) في الجفا

همام : سُوتُم ظُنّا ، وما زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إنني من أعظم الناس لِمَا كان من شَغْبٍ ( بجاو ) أسفا

وأراها سبّة تجعلنا في عيون الناس بين السُّخفا

غير أنني لا أرى أعظم أسـ بابها إلا جمود الشرفا !

وقفوا في وجه سبيل لو تولّـوه بالحسنى لأروى وشفى

فطفت أمواجه ، حتى لقد جرف الأسداد فيما جرفا !!

حكّموا الأهواء ثم انطلقوا بالأهاجي يملأون الصحفا

ونسّوا أن المبادي لا تـرى نُحجّها ما لم تـواخ الشرفا

\* \* \*

أنا لا أعرف (إرشادية) لآ ولا ( رابطة ) أو جنفا

إنما أعرف ( إسلامية ) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناس سواء لا تـرى فيهم رؤا ولا مستضعفا

أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذ هجرنا المصحفا

أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهل علينا السُّنفا



فغدا العُرفُ لدينا مُنكرًا وغدا المنكرُ فينا عُرفًا

\* \* \*

أنا لا أعرف إلا دعوةً ( لجمال الدين ) شقت غُلفًا  
تندب الناس إلى دين الهدى مثلما كان بعهد المصطفى  
لا خرافات وأوهام ، ولا بدع تحسب فيه زلفًا  
تفتح العلم على أبوابه في وجوه المسلمين الخنفسا  
ليكونوا سادة الدنيا — كما وعد الله — عليها حُلفًا  
ولقد أيدها تلميذه « عبده » فيما دعا أو ألقا  
بث روح الحق في أتباعه فغلبوا فينا غيوتًا وكُفا  
فلبثت الروح فينا هذه في إحياء ووفاء ووفاء  
لحوز الفوز في الأخرى وفي هذه الدنيا المقام الأشرفا

\* \* \*

يا بني الأحقاف توبوا للهـدى

واتبعوا ( الذكر ) ولوذوا ( بالسنن )

وانشروا العرفان في قطركم

واستغلوه وأحيوا كل فنن

وتناسوا ما مضى وامتزجوا

وارحضوا الأحقاد عنكم والإحن

\* \* \*

بينكم جنس ، ودين جامع

ولسان وعهود ووطن

( ستار )

## الفصل الثاني

### المشهد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا  
له ورسائل . يستأذن عليه « محمد » .. يتعالقان ثم يجلسان  
على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخي ! أين تقيّمت ؟ فعهدي بك من شهر

جرت في الربع أحداثٌ وظنني بك لم تدبر

محمد : ذهبتُ إلى زيارة شيخ أهل الكشف والسرّ

(وهنا يتسم ابتسام السخرية)

عمود الدين في « قُبلو » شيخ السر والبحر

ألم أخبرك إذ يمتُّ ما يمتُّ من أمري ؟

همام : (متنفسا الصعداء)

بللى إتسي ذكرتُ الآن ! فاقبل يا أخي عذري

بلاتسي الله بالحَبِّ ! فعقلي ذاهل دهري

نهاري كله فِكْر ! وليلي مدمع يجري !

ولا ينفعني علمي ولا رأيسي ولا فكري

ولا المشهور من فضلي ولا الممتع من شعري !

محمد : أخي ! لا تنس أن تصير فالنّجح مع الصّير

وخلّ اليأس ولتقرأ معي : إن مع العسر

لما تألم في جسمي وما تغتم في صدري !  
 وما يحمل به ظهرك محمول على ظهري !  
 ألا تخبرني ماذا جرى طيلة ذا الشهر ؟  
 : همام جرى .. ماذا جرى ؟ لا شيء غير الضيم والقهر !  
 « ولي الله » ذو الحُبو ة والأردية الخُضر !  
 وذو المسواك في العمة قـ د أرى على الشير !  
 ورب السبحة الغار ق في التسبيح والذكر !  
 بها يُذكر في الناس ولا يُذكر في السر !  
 ومن يمشي بعكازين من أتباعه الكثر !  
 يطاطي رأسه للأر ض كالباحث عن سر !  
 تلنى من ( شهاب ) سا عها بالخلل والمكر !  
 أتاه نحاطبا ( حسنا ) لراشي دينه ( بكر )  
 ولم يألُ اجتهدا عنـ ده في الغض من قلدي  
 رماني بصنوف الزين والبذعة والكفر !  
 ولا تجهل طرق القو م في الخيلة والخـر !  
 : محمد خفف عليك ! فإن أمرك هين والرأي يصره ذوو الأحلام  
 أفقد عدوك روحه بسلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام  
 : همام ( في شيء من العتب والموجدة )  
 أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرًا ؟ وأين مقامه ومقامي ؟  
 إن لم نكف عن الآثام نفوسنا فعلام ننقم ضلة الأقسام

محمد : لا يُخْطِرُ ظَنُّكَ ما أَرَدْتُ ، فلم أَرِدْ  
 إِنَّا نَلْجُودُ بِسَبِّةٍ وَمَلَامٍ  
 إِنَّا لَنَرِيباً أَنْ نَقَارِفَ خَلَّةَ تَزْرِي بِمَعْدِنَا الْقَوِيمَ السَّامِي !  
 لكن أَرَدْتُ سَقُوطَ هَذَا المَرْتَشِي  
 بِطَرِيقَةٍ تَكْسِبُوه ثَوْبَ الذَّامِ  
 وَنَرَى غَازِيَهُ الْأَنَامَ لِيَقْلِعُوا عَنْ هَذِهِ الْأَوْتَانِ وَالْأَصْنَامِ !  
 مِنْ كُلِّ قَاسِيِ الْقَلْبِ يَنْصَبُ دِينَهُ لِقَضَاءِ لَذَاتٍ وَجَمْعِ حَطَامِ  
 سَاطِئِلِ مَحْتَتِهِ ، وَأَبْطُلِ سَحَرَهُ قَسْراً وَالصِّرَاقُ أَنْفَهُ بِرَغَامِ  
 وَسَيُصَيِّرُنَّ ذُوو الْعَقِيدَةِ فِيهِ فِي  
 بِرَدِّيهِ أَيُّ مَدَجِّجِلِ أَتْنَامِ !

همام : ( وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةَ الْإِعْجَابِ وَالرُّضَى )  
 بَوْرَكَتْ يَا خَيْرَ الصَّحَابِ ! وَبَوْرَكَتْ  
 رُوحَ الشَّجَاعَةِ فِيكَ وَالْإِقْدَامِ  
 لَتَنَّمْ حِفْوَني مَا سَهَرَتْ فَإِنْ أَنَّمْ

وَسَهَرَتْ أَنْتَ فَلَسْتُ فِي النَّوَامِ  
 محمد هَاتِ عَنْ قَيْدِهِ نَ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ؟  
 وَمَا شَاهَدْتَ فِي الْمَوْسِمِ مِنْ عُزْفٍ وَمِنْ نُكْرٍ ؟  
 وَهَلْ وَفَّقْتَ فِي الْإِنْكَارِ رَوَاتِذَ كَبِيرٍ وَالزُّجَرِ ؟  
 تَوَافَى النَّاسُ أَنْوَاجاً إِلَى قِيَادُونَ كَالذَّرِّ  
 فَمِنْ سَاعِيَةِ تَمْشِي وَمِنْ رَاكِبَةِ الْحُمُرِ  
 هُنَاكَ السَّاحَةُ الْكَبِيرَى تَحَاكِي سَاحَةَ الْحَشْرِ  
 بِهَا مَا شَتَّتَ مِنْ لُحُو وَمِنْ لَفُو وَمِنْ هَنْبَرِ

وقد غصَّتْ بأشْجَاتٍ من الآسَادِ والعُفْرِ !  
تبارت ثمَّ في الخِلْدِ سِيرة الأبرادِ والخُمْرِ  
وقد يقتلن بالعصمِ أرواحَ النظرِ السَّحَرِي !!  
من الظُّهْرِ إلى العَصْرِ إلى مُنبَاجِجِ الفَجْرِ !  
هناك الخسر في الدين وحسب الناس من خسر  
ولا يريح في تلك السِّبْطِ زياراتِ سوى النَّجْرِ  
وأما سِدادُ القبَّةِ فهو الرابحُ المَثْرِي !  
تساقُ لداره الأكِيما من حَبٍّ ومِنْ عُمُرِ  
(و) للصندوقِ ما يباع من ورقٍ ومن تَبْرِ !

\* \* \*

ولما حضرَ الوقتُ تداعَوْا كضحيِّ النَّفْرِ  
وأثموا نحو قبرِ الشَّيْخِ بِخِطِّ الطَّبْلِ وبِالزَّمْرِ  
يصيحون : وليَّ الله جنَّاتَكَ إلى القَبْرِ !  
أُتِينَاكَ لَكِي تَحْمِلَ عَنَّا ثِقَلَ السُّوْرِ  
وكي تُسَبِّلَ يا قُطْبُ عَلَيْنَا ضِائِقَ السِّوْرِ  
وفي الأنفُسِ حاجاتٌ بهائِيا سيَّدى تَدْرِ !  
أُتِينَاكَ لَكِي تُقْضَى ونحْطَى مِنْكَ بالسُّوْرِ

\* \* \*

ولما وصلوا القبَّةَ داروا دَوْرَةَ الحُمُرِ  
وأهوتَ راحُ ذاك الجمْعِ في التَّابُوتِ بالنَقْرِ

فلا تسمع إلا ما .... يصيب السمع بالوقر  
 هناك الناس غير الناس في الإغياث والذكر !  
 فهذا خاضع شاك وهذا دمه يجري  
 وهذا ينشج النشجة تستعصي على الصنر !  
 وهذا يرعد الرعد في أعضائه تسري !  
 وهذا ينذر النذر وهذا جاء بالنذر  
 وهذا صالح : يا سيدي عطفاً على فقري  
 على عجزى وإهمالي على ضعفى على ضري  
 وقد جُللت القبة بالزينة والسيتر  
 ويضات من البؤر رُغلقن على الجندر !  
 فمن حُمر إلى صُفر إلى زُرُق إلى خُضر  
 ومصباح كبير الضوء مثل الكوكب الدرّي  
 وللتأبوت معنى من جلال العتق والقدر<sup>(١)</sup>  
 قد اسودّ من التقييل في مختلف العُصبر !  
 عليه ضيَّبُ الفيض في أسود كالخيم  
 فتبدو كثغور الزئج إذ تضحك من أمر !  
 فتم الضم والتقييل لـ بالثغر وبالنحر  
 تلاقى فيه دَمعا الشا ب والجارية البكر !

\* \* \*

ولما مكن الجمعُ      سكونَ الموج في البحر  
تراءى الناس شيخاً ذا      شقاشقَ فيهم هُنبز  
ينادي : أيها الناس اهدأ      سناؤا بالفوز والنصر  
بهذي النعمة العظمى      بنيل الفضل والفخر  
قصدم باب ذى عطفٍ      وذى جود وذى برٍّ  
وإن الشيخ لا يتركُ      من زار بلا أحر !  
عليكم بخلوص القصص      سد في السر وفي الجهر  
وبالتسليم للأقطاب      ب الخدمة والصبر  
وإياكم وسوء الظن      من بالصوفية الغر  
فأهل الله هم . جازوا      مطاط النهي والأمر  
ملوكُ لهم التصريح      صف في السر وفي البحر



سمعنا أن في (حدري)      تباشير من الكفر<sup>(١)</sup>  
تصديّ ناشئ غر      بلاه الله من غر<sup>١</sup>  
يربى الشعر كالفسأ      ق إذ يُعنون بالشعر  
تلقى من فنون العلل      سم ما زاد على القنر  
فأغواه وأرداه      وجاء النفع بالضر  
ومن شيقوته استحلّى      حميم الأدب المزري  
جريء القلب لا يعب      أ بالتهديد والزجر

(١) تطلق حدري على ما سفل من حضرموت كشمب وسبون وتريم . وعلوي على ما علا منها كدوعن وعمد وراذي العين .

يُث السَّم فِي الْجَاهِ — سَل وَالْعَلَامَةُ الْحَبْرُ  
يَسِيءُ الْفُظْنَ بِالْأَقْطَا — ب أَهْل الْمَلْدِ السَّرِّيْ  
لَهُ أَتْبَاعٌ سَوْءٌ كُلُّ — هُمْ يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ

\* \* \*

هِنَا قَمْتُ وَقَدْ ضَاقَ — بِي الْوَاسِعُ مِنْ صَدْرِي  
وَمَا بِالَيْتِ بِالْفَوْغَا — ء فِي عَسْكَرِهَا الْجَمْرُ  
وَقُلْتُ اسْكُتْ عَجُوزُ السُّو — ء يَا دَاعِيَةَ النُّكْرِ  
عَلُو اللَّهَ وَالْإِصْلَا — ح ! هَلْ تَهْذِي وَلَا تُدْرِي ؟  
أَتَدْعُو النَّاسَ لِلنُّكْرِ — وَتَهْجُو دَاعِيَّ الْخَيْرِ  
فَصَاحَ الشَّيْخُ : ذُولُوهُ — فَمَا مِنْ شَيْعَةِ الْفِرِّ  
فَلَوْلَا أَنْ تَسَلَّلْتُ — مِنْ الْجَمْهُورِ بِالْفِرِّ  
لَكَانُوا أَعْدَمُونِي مَه — حَتَّى بِالضَّرْبِ وَالذُّفْرِ<sup>(١)</sup>

هَمَام : ( يَضْحَكُ وَيَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَيَضْرِبُ عَلَى كَتِفِهِ )

حَمَاكَ اللَّهُ مِنْ سَوْءٍ — وَقَاكَ اللَّهُ مِنْ شَرِّ  
لَقَدْ قَمْتُ مَقَامًا لَا — يُوَاظِي عُظْمَاهُ شُكْرِي  
وَلَا بَدَلْ لِي فِي الْإِصْلَا — ح مِنْ عَزَمٍ وَمِنْ صَبْرِ

\* \* \*

---

(١) الذفر : الدفع في الصدر .



## المشهد الثاني

« في دار ( حسن ) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة  
بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار  
بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

- علوية : ( داخلية الغرفة )  
أيها الربيع سلامٌ عنيكم !  
خديجة : ( ناهضة لاستقبالها )  
وعليكم ألف ألف سلام !  
مرحباً أهلاً بشخص كريم مرحباً بابتنة قوم كرام  
( تصافحان فتجلسان )  
علوية : يا صباح الخير !  
خديجة : هذا صباحٌ بلكِ طَلَقَ ثَغْرُهُ في ابتسام  
علوية : كيف حال الربيع ؟  
خديجة : في خير عيش نسأل الرحمن حُسْنَ الدوام  
علوية : أين حُسْنٌ ؟ إن شوقي لحسن مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظامي !  
خديجة : هي في غرفتها  
علوية : إلتنني أن أراها ..  
خديجة : هي ذات احتشام

تستحي من زائريها  
( تقبل الخادم بعدة الشاي )

- علوية : وماذا ؟  
 خديجة : قصدنا الأُنسُ وطيبُ النَّدَامِ  
 علوية : قَسَمًا أَشْرَبُ إِلَّا إِذَا مَا نَشَرْتُ حُسْنَ بَسَاطِ الْمَدَامِ  
 خديجة : ( مهتسمة )  
 أَنُجِيدِينَ أَحْيَالًا كَهَذَا ؟  
 علوية : إِنَّمَا أُمْلَى أَحْيَالِي هِيَامِي

( تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراءها حسن ثمشي على استحياء )

- علوية : ( قائمة )  
 مرحبًا بالبان يهتزُّ لَبْنًا ! مرحبًا بالبدر بدر التمام !  
 ( تدنو فتقبل حسنًا على خدها فتقبلها حسن على رأسها  
 وتجلس إلى عدة الشاي )  
 يَوْه ! مَا أَجْمَلُهَا مِنْ شَاقٍ يَوْه ! مَا أَصْلَحُهَا لَهْمَام !  
 صَلَوَاتُ اللَّهِ تَغْمِرُ طَه وَحَمَاهَا اللَّهُ مِنْ عَيْنِ رَام  
 ( يَخْفِقُ قَلْبُ حَسَنِ وَيَتَصَاعَدُ الدَّمُ إِلَى وَجْنَتَيْهَا فَيَتَوَرَّدَانِ  
 وَتَطْرُقُ حَيَاءٌ وَتَتَشَاغَلُ بِإِصْلَاحِ الشَّاي )

- خديجة : ( في تجاهل واستغراب )  
 مَن هِمَام ؟  
 علوية : تَسْأَلِينِي عَنْهُ ؟ لَيْسَ يَخْفَى الْبَدْرُ بَيْنَ الْأَنَامِ !  
 ذَلِكَ الْمُصْلِحُ زَيْنُ شَبَابِ الْقَطْرِ ذُو الْهَمَةِ وَالْإِعْتِزَامِ  
 ذَلِكَ الْخَالِي بِكُلِّ جَمِيلِ ذَلِكَ الْعَاطِلُ مِنْ كُلِّ ذَامِ  
 ذَلِكَ الْمَشْهُورُ فِي كُلِّ قَطْرِ عَزَائِيهِ الْكَيْسَارِ الْعِظَامِ

والذي سارت بحسن قوافيه - إلى مصر وأقصى الشام  
(تلاحظ ارتباط خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيراً له)

لا تظنني رسول همام أنا لا أعرف شخص همام  
إنما أسف أن كريمنا يثله يمني يقوم لمام  
هو يسقيهم كموس حياة وهم يسقونه كأس سام<sup>(١)</sup>  
خديجة : ما تقولين ؟ أليس همام حاد عن نور الهدى للظلام ؟  
ودعا الناس إلى أن يقولوا فيه ما قد زوروا من كلام  
علوية : ما استطاعوا أن يؤثروا إلا بالذي يعليه أسمى مقام  
خديجة : إن قلبي ليرود هماماً ورضى بنّي أقصى مرامي !  
( تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حسن لمام )

تقاطع حديثها وتلفت إلى حسن قائلة ) :  
أتحين هماماً :

حسن : ( في تلثم وخجل )

ومن لا يعد .. شق الحر الحسيب العصامي  
فرع الناس بعلم وخلق وجهاد في الهدى واعتزام !  
خديجة ( عائدة لتمة حديثها )

غير أنني لا أطيق كلام النـ  
فلزوج البنت عندي محل في السويداء من القلب نام  
خبريني كيف أرفع عنه حين يرمى بالفري وأحامي  
لينة خلّى زمام الورى فيهم ، فما كان برّب الزمام  
فيهم يهتهم بأمر سواء وهو لما يغد سن الغلام ؟

(١) السام : الموت

لو تملأ بيالي صباهُ  
لو تملأ عن شؤون الريا  
فمضت في غبطة وسلام !  
وتولّى شأنه باهتمام !  
وتعامى عنهم !

علوية : هو يخشى : غضب الله لهذا التعامى  
فالذي يكتم علم الهدى يُكـ  
إنما ضرّ الريا تعامى  
يصرون النور وهو مضىء  
ويرون الناس في ليل جهل  
يتزعمون على كل قبر  
ويرون المنكرات عظاماً  
ويقولون : لنا بالآلى قد  
أنرى نعزو إليهم ضلالاً  
مثل هذا عذرهم وهو عذر  
هو غضب الله لهذا التعامى  
حجّم من نار لظي بلجام  
هو لاء العلماء الضعاف  
فيلبذون بسر الظلام !  
يتدحّى أفقه بالقتام  
ومصاب الدين في ذا الزام  
فتراهم عندها كالعظام  
غبروا من قبل حسن اتمام  
وهم أمثلة الاعتصام ؟  
سوف لا يقبل يوم القيام !

\* \* \*

فخليق بفتى كهمام  
إذ يرى موطنه في انحطاط  
دب فيها داء جهل وخلف  
فانرى يتعشهم من حمول  
أن نرى غيرته في اضطرام  
ويرى أمته في انقسام  
وعداء قاتل وخصام  
ومضى يوقظهم من منام !

خليجة : فهبني قد رضيت ، فمن لي بشهاب وهو صعب الزمام ؟  
وهو لا ينفي ويثبت أمراً بسوى رأي ( الولي ) الإمام !

جاءه من قبل عشرين يوماً فنهاه عن قبول همام  
ورجا تزويج حُسن ( لبكر ) فيه اليمن وحسن الوئام  
قال : إن المصطفى يتأذى من همام ، قلبه منه دام  
وأولو البرزخ سوف يغيرو ن عليه عاجلاً بانتقام  
( في غضب ) : علوية

ذلك الدجال لا ريب فيه أولي الله عيب الخطام ؟؟  
قد رشاه بالريالات بكر الرشى للقطب غير حرام  
أفواد المصطفى غير راض عن غيور عن هداه يحامى ؟  
وأولو البرزخ كيف يغيرو ن على حي وهم في الرجاء ؟؟  
معشر ماتوا وصاروا إلى النيران ، أو صاروا لدار المقام  
تُرّهات جعلوها من الدين ن ، تعالى ديننا المتسامى !



### المشهد الثالث

( علوية تزور زهراء في بيتها )

علوية : صديقي ! إنني لمشتاقة إليك  
زهراء : واشوقي للقياك !

( تعانقان بلهف )

أهلاً بمتاك ، وشكراً لذلك —راك فقد جرّتك ذكراك  
علوية : عندى بشرى لكم  
زهراء : بشرى —علّ النى في طي بشراك

- علوية : أين همام ؟  
 زهراء : أهى بشرى له ؟ هاتى أطال الله عيالك !  
 علوية : فإنه ثم على حاله من الأسى يكي لها الباكي !  
 زهراء : هاتى أيى : ما الذى جتنا به ؟ رعاك الله مولاك !  
 علوية : لعل أن تفشأ عنه الأسى بمناك ، ما أبرك بمناك !  
 زهراء : خديجة أينت من قلبها على همام  
 علوية : كيف وأين ومتى ؟  
 زهراء : زُرْتُهَا أمس وهاك ما جرى هاك  
 علوية : هل جرى ذاك ؟

« نقص عليها حديث أمس كله مما جرى بينها وبين خديجة وحسن .

تستأذن زهراء لبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حين إلى علوية » .

- زهراء : بشرته فانهملت عينه من فرح ما كان لولاك  
 وقام من مضجعه ناهضاً يشكر حق الشكر مسعاك  
 علوية : لم آت ما أشكر من أجله !  
 زهراء : بمثل ذا اللطف عرفناك  
 إن همما قانع في الهوى بكنبة من فم أفاك !  
 ويأخذ اللفظة فالأله من قصة يوردها حاك !  
 وقد يرى الحليم فيعنه نور رجاء وسط أحلاك

فكيف لا يبكي سروراً وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟  
أما شهابٌ فله خِله محمد ذو الخلق الزاكي  
لازتما عون أخى دائماً والله يرعاه ويرعاك !

\* \* ■

### المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد ( ولي الله ) لتحقيق المهمة التي كلفه  
محمد لإياها . يدخل على ولي الله في غرفة فخمة مزدانة بكل ما  
يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمناخ النفيس . يجده  
مستنداً إلى جبهة من الوسائد ماذا رجله لرجل عنده يكسهما » .

|       |                            |                            |
|-------|----------------------------|----------------------------|
| سالم  | : سيدي يا صاحب السر العظيم | يا ولي الله يا غوث العديم  |
|       | متع الله بمحياك الورى      | إنما وجهك مصباح العليم     |
| الولي | : مرحباً بالخادم السر الذي | خصه الرحمن بالقلب السليم   |
|       | حسن الظن بأهل السر يا      | خادمي تحظ بجنات النعيم     |
|       | آه - لو يعرفني هذا الورى   | لأتوني من قصبات التخيوم    |
|       | أنا جيلاني هذا العصر ، قد  | وطئت رجلاي أعناق النجوم    |
|       | خضت بحراً وقف الخلق على    | ساحليه في دهور ووجوم -     |
|       | من رأي أو رأي من راغني     | فهو محذور على نار الجحيم   |
|       | أهل هذا القطر ما دمت به    | في رعاء وهناء مستديم       |
|       | يولد الطفل على عيني ، كما  | يرحل الراحل أو يغني المقيم |
|       | أسعد الناس بنا أحسنهم      | نية فينا فذاك المستقيم     |

- وأشدُّ الناس خسرًا من هنا : سالم  
 ذلك في نار لظى مهما يكن : الولي  
 ولقد قام أخيرًا ناشئًا : سالم  
 رام إسقاط مقام الأوليا : الولي  
 زاعمًا أنَّ السورى في ضلَّة : سالم  
 هكذا من كان لا شيخ له : سالم  
 سيدي علَّ همامًا قصدكم : سالم  
 نحن لم نعن سواه : الولي  
 أنسب لي : سالم  
 زعمنا استطعتم به إن شئتم : سالم  
 أنت لا تستطيع أن ترجعه : الولي  
 إنَّ هذا محال !  
 بالذي يُغري همامًا لعليم : سالم  
 فسأرميه ببلي في الصميم :  
 بـ هوى قيس لليلي في القديم :  
 وهو في الحب ضعيفٌ كالظليم :  
 ليس يعصى لكم الأمر الكريم :  
 فضمننا لكم أن يستقيم :  
 ( في غضب وهياج ) : الولي  
 ليت شعري كيف أقضي حاجة :  
 كبه الله على منخره ! :  
 كم عنائي أمره من مارد ! :  
 لفتى نقص من عيشي النعيم ؟ :  
 وسقاه الله في النار الحميم ! :  
 ولكم عذب قلبي بالهموم ! :



والذي نفسي فى قبضته وبه السَّبع السماوات تقوم !  
 نحن لولا أنَّ فى غضبتنا لضربنا ضربةً تنسِفُه  
 وتركتناه كمنزرو الهشيم وأصابَتْ يَتَه نائبةً  
 تلهل الموضع عن رعي القطيم : إنما نقضي على أنفاسه  
 إن جعلناه إليكم يستقيم : إنَّ هذا هوَ الرأي الذي  
 يحفظ الناس من الداء الوخيم : أتراه يرعوي عن غيِّه  
 إن أعتاه على نيل المروم ؟ : ذلك ما لا شكَّ فيه ، وأنا  
 لكم بالكفِّ عن ذاك زعيم : تخادمي ! رأيك هنا صائب  
 فهمام خطرٌ فينا عظيم ! : غير أنَّ الأمر قد فات ولم  
 يبق في الرأي مجال للحكيم : قد خطبناها ( لبكر ) قبله  
 وحبانا منه بالمال الجموم : فرميناه ( بصندوق القرى )  
 لغريب أو فقير أو يتيم ! : ( يسكت قليلاً ثم يقول )  
 كم همائمٌ دافعٌ من ماله ؟

ضعف بكرأيها المولي الكريم : سالم  
 المولي : ذا إذا ألف ريال ! هاته : سالم  
 قم ! وثق أنا سنقضي ما يروم : المولي  
 يابس الكفُّ شحيحٌ ولقيم ! : إن بكرًا ذو غنى ، لكنه  
 سري عاقبة البخل غداً : عندما يُخطِئه الوجه الوسيم !

( يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله  
 من الغد )

سالم : قد فعلنا كلَّ شيءٍ وظفّرنا بهمـام  
وارتضى ما قد شرطنا هـ عليه بالتزام  
وهو مسرورٌ بهذا شاكر سعي الإمام  
تاركٌ دعوته النكـراء من أجل الغرام

الولي أخذ أن ليس يؤذيكم بفعلٍ أو كلام

سالم : أين ما أعطاك ؟ هل أقـبلتَ بالمال إلزام ؟!

الولي : هاك تحويلاً إلى « جا وَا » بألف بالتمـام  
( يمد يده للتسلم )

هاتـه ليس لجيـبي بل لصندوق المقام !!

## المشهد الخامس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جاءني الليلة آتٍ في المنام صائحا يهتف حسنُ همام

إن بكراً فسدت نيتَه في توليها بحبٍّ واحترام

شهاب : إنه يا سيدي مبتدع

الولي : إنه قد تاب عن هذا الإثم

شهاب : ( في استغراب )

ومتى تاب ؟

الولي : أتاني نادماً أمس مما بثّ في الناس السمام

إذ دعونا الله أن يهديه سمح الله بإدراك المرام

شهاب : ( في خضوع وتسليم )

ليكن ما شئتم يا سيدي نحن نرضي رأي مولانا الإمام

■ \* ■

## المشهد السادس

بين زهراء وخديجة :

|       |                        |                                    |
|-------|------------------------|------------------------------------|
| زهراء | : صديقتي ! إن قلبي     | مما فعلتكم لموجع                   |
|       | أشتاقكم غير أنني       | من وصلكم أمتنع                     |
|       | فإن جرحي منكم          | فيه الأسا <sup>(١)</sup> ليس ينفع  |
|       | ولو أظعت صوابي         | ما جتكم أتسكع                      |
| خديجة | : زهراء : لا بأس بالعت | ب فهو للود أجمع                    |
|       | ما ساء قلبك مني ؟      | قولي لعلني أرجع !                  |
|       | فربما عصبّ واث         | فينا إلى الدحس يهرع <sup>(٢)</sup> |
|       | وذا زمان ليكم          | فيه المودات تقطع                   |
| زهراء | : إن هماماً شقيقي      | له بقلبي موضع                      |
|       | فيلكم منه نيل          | مني بغير تورع                      |
| خديجة | : زهراء ! أسرفت في تهـ | متي ، فبعض التسرع                  |
|       | فما ذكرت هماماً        | إلا عما عنه يسمع                   |
|       | من الخروج على النـ     | س في تقاليد تبـ                    |
|       | قصصت ذاك لعصماء        | من بنات المشفع                     |
|       | لأنها لهمام            | رأيتها تشفع                        |
|       | قامت تدافع عنه         | بحجج ليس تدفع                      |

(١) الأسا : مصدر أساه بأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .

(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

زهراء  
خديجة  
زهراء

وإن قلبي ليهوى  
إذن فماذا التلأئي  
إلا رحمتهم فتئى من  
تكاد أحشاؤه من  
: إن الإبا من شهاب  
لأن رأي شهاب  
: ( في غضب )

خديجة

القطب لص عن  
يشرى ويتاع « حُسْ  
كانها سلعة في  
ألم بيعها « لِكِر » ذا  
كان سود الدياجي  
ثم أرتجى من همام  
ورعيا باعها في  
والناس ظنوا أباكم  
إن السولي عن السوء  
أبوكم ليس يلري  
ولو درى لتبراً  
: ( وهي تتألم ) :

خديجة

أقد تحذت عنا  
يا ويلناه ! أنؤتي  
إننا أنس على عز  
بذاك في كل مجمع  
من حيث لا توقع ؟  
نا نحامي ونلفع

أعراضنا هي أغلى ما في الحياة وأمنع  
لو كان يدري شهابٌ لما تنهنا بمضجع  
وسوف يدري عسى عن هذا المدجل يُقلع  
( تنهد واستعبر )

يا ليت ( سعدًا ) لدينا في أمرنا اليوم يقطع  
لما ألانا اجتهدًا في أخذ ما هو أنفع  
لكنه غاب عنا تسع سنين وأربع  
في أرض ( جلاوا ) التي تاكل الرجال وتبلع  
راح ليجمع مالا لنا به نتمتع  
يا بئس ما جمعت كُفُـه وما هو يجمع !!  
ماذا يفيد الغني من يخسر أهلاً ومربع  
تزوجت « مزفة » عُـرُـه سها به لم يمتنع  
تُـسـال : أين أبوها ؟ فلا تجيب ، وتدمع  
وهله أختها أو شـدكت نـزف وتخالع  
فواشـقاء حـياة فيها الفـواد موزع

## المشهد السابع

( بين سالم وشهاب ) :

سالم : مالي أراك كثيرًا ؟ مُتَقَمًّا يا شهاب ؟  
فما أصابك ؟ قل لي

شهاب :

إني بخطيئتي مُصَابٌ | ذاك الذي كان يدعي

بذكوره ويُجَابُ | وَمَنْ يَغْرَتُهُ كَانَ

يُسْتَلَذُّ السَّحَابُ | مَنْ كُنْتُ أَبْصِرُ أخطأ

عَهُ وَهُنَّ صَوَابُ | قَامَ يُلَوِّثُ عَرْضِي

بِمَا بِهِ النَّاسُ عَانُوا | فَقِيلَ لِنَاسِي طَمُوعٌ

بِالْمَالِ وَهُوَ كِذَابُ | لَوْلَا الْمُدْجُلُ هَذَا

لَمَا عَلَانِي عَابُ | اللَّهُ دَرُّهُمْ

فَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَجَابُ | إِذْ قَالَ : أَمْثَالُ هَذَا

فِي الْمُتَقِينَ ذُرِّيَابُ | وَإِنَّمَا سَتَرْتَهُمْ

عَنِ الْعَيُونِ التِّيَابُ | فَمَا نَرَاهُ شَرَابًا

مَا هُوَ إِلَّا سَرَابُ | أَنَا الَّذِي سَلَّمْتَهُ

مَالَهُمْ بِيَدِي | فَلَا تَكُنْ مِنْ أَمْرِهِ

فِي شَيْءٍ أَوْ تَسْرُدُ | إِنْ هُمَا نَا لِّلْعَصَا

مِئَاتُ الْكَرِيمِ الْمُخْتَدِ | مَهْمَا يَقْلُ فَإِنَّهُ

زَيْنُ شَبَابِ الْبَلَدِ | رَأَاكَ لَا تَصْغِي إِلَى

غَيْرِ كَلَامِ ( السَّيِّدِ )

سالم

شهاب

سالم

ولم يجسد إلا ولي الله خير مسعد  
 فلم يدع رأي صديق فقه الفتى « محمد »  
 ولم يكن ذاك الذي يهدي السورى بمهتد  
 مد إلى الدرهم جمد ذلك في صيد ١١  
 وكان ما كان فلا تغضب ولا تفند  
 أنت عليك الغرم والغم لرب المدد ١  
 هذا جزا تارك رأيه لرأي أحد ١١

\* \* \*

### المشهد الثامن

( بين شهاب وبكر ) :

بكر : يا عم ما الذي جرى ؟ رددت مني اليدا  
 ألسنت قد قبلتني فما عدا ما بدا ؟  
 شهاب : ( يتجلد ويخفي غضبه )  
 حظك يا بكر الذي حلا عنك البوردا  
 فاطلب سواها تلـ : ' فقهن ' كالرمال عدا  
 بكر : ( في وقاحة )  
 وأين أموال التي أنفقت فيها بلدا ؟  
 شهاب : لمن دفعتهما ؟  
 بكر : لـ : لانا الولي المفتدى ١  
 شهاب : ( في سخريه )



إذن فخذها منه لا تطلب سواه أحدا  
بكر : ( معوضاً )

أعطيت له لأنسه كان لكم معتمدا  
شهاب : ( في غضب )

خسعت يا نذل فقم وغلّ عنك اللدا !  
أليس فينا حاكم يحكم هذي البلدا ؟  
فاشك إليه من على مالك - إن شئت - اعنى !  
بكر : ( في تضعضع وخجل )

إذن ... فمالي كله  
.. أكله .. وازدردا ..  
إذن ... فلم يعطك من مالي ... شيئا أبدا .. !  
أما اكفى بما ارتشأ ه نصف ألفى عددا ؟  
يا ويلتا ! واحسرتا ! واحزننا .. ! واكمدا !  
لأرفعن أمـره إلى الأمير «أجـدا»  
أفضحه عند السورى ..  
شهاب : ( وقد سرى عنه )

الآن أبصرت الهدى !  
بكر : ( يتهد )

فليمض مالي لظهو ر سيعاته فـدى !!

## المشهد التاسع

( همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه ) :

الأمير : أتدري يا همام لأيّ أمر دعوتك لي ؟  
همام : خير يا أميري ؟  
الأمير : ألم تعلم بما اجترمته كفا ولي الله من إثم كبير ؟  
همام : بلى هذا حديث قد فشا في حمانا في الكبير وفي الصغير  
الأمير : فماذا أنت يا سندي مشير به في مثل ذا الأمر الخطير ؟  
همام : أرى أن تحبسوا الجاني وأن لا

تمسّوه بسوء أو نكير  
فمطلق حبسه كاف - أراه - لردع سواه من أهل الشرور  
الأمير : ولكن والدي يخشى علينا - إذا عاقبته - سوء المصير  
يُحايز دعوة منه علينا فتلحقنا بأصحاب القبور  
همام : أمير ما عهدتك غير حرّ طليق الفكر متقد الشعور  
وحسبك ما قرأت عليك طردًا

لأوهام توسوس في الصُّدور  
أتعرفُ إثمَهُ ونخاف منه ؟

أقبل دعوة العاصي الكفور ؟؟  
كذلك الوهم تُشربه نفوس فتشهد ما تُخيّل من أمور  
وقل لأبيك ذا بكرٍ شكاه وهتك ما عليه من ستور  
فلو كان الولي لديه حولٌ لكان رماه بالسهم المبير

فإن نجسه جئت به دليلاً  
فليس أذاه مقصوداً ولكن  
لقد قررت هذا الرأي قبلاً : الأمير  
وإن الدجل أبغض كل شيء  
على الدنيا يضيق به ضميري

\* \* \*

## المشهد العاشر

( يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة )

شهاب : محمد أنت الجريء الفؤاد : وأنت صديق همام الوفي  
فلو كان من ربي رسالة  
ولكن حواريه المقتضي  
وتعلم ما كنت أؤذي همام  
أنا في أمره مفسداً  
وإني على ما مضى نادم  
وأنت بإصلاح أمري حفي<sup>(١)</sup>  
محمد : ألا مرحباً بالسليم الفؤاد : وبالظاهر السيرة الأشرف  
بصهر همام الوديع الصفي  
ومن لا يترك على النكرات  
وليس يطاطئ للمفسد<sup>(٢)</sup>  
همام يحبك مهما فعلت  
به عن ولائك لا يتنفي  
يراك أباه فمهما قسا  
عليه لتأديبه يعطفر

(٢) هو الظالم الشديد العسف .

(١) عارف وخبير .

( يتسم شهاب وتتهلل أسارى وجهه )

شهاب : فله ما كان أنقى هما  
أضارسه ثم يلقى ودوداً  
محمد : بقدر نبالة أخلاقه  
ثمادي به جها فهو لا  
يبت يناعي بحوم السما  
ويجلس في بته للطعا  
فنهله الحب عما لديه  
واني لأخشى عليه - إذا  
هنالك تخسر زئن الشها  
ويسالك الله عن مهجة  
شهاب : ( وهو يكي )

كفى يا محمد ! إني أتيت  
فلو كان ذنب همام فحسب  
أزوجه اليوم من حسيه  
ولكني قد عصيت الإله  
لقد غرني وعد ذاك الولي  
وبشرنني أنه قد رأى  
فلم أنزود لندار البقاء  
فأيقنت ذا اليوم أن ليس يد  
وأن ليس يحمو خطايي  
نصائح كان ينادي بها  
فها قد بدت لجميع الأنام  
لتكفير أعمالي الخاطية  
عليّ لحف على باليه  
فيفغر زلاتي الماضية  
وعرضت نفسي للهاوية  
مححو خطيئاتي الخالية  
قصوري في الجنة العاليه  
أكالا على الزلف الواهيه  
فعني غير أعمالي الزاكه  
غير النصوح من التوبه الماحيه  
همام فرمي بها ناحيه  
خازي مدجلنا الغاويه

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـ      الذي لتطهير أدرانها كافيه  
فلا تبتئس ، إن رباً هناك      ليغي بك الخير في الثانيه  
« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قائلاً »  
وأمر همام ؟؟

شهاب : وماذا يريد هم      وأم وليس لحسن سواء  
هي اليوم بين يديه وما      مناي من الدهر إلا رضا  
ولكن حليت (الرشي<sup>(١)</sup>) المس      ستفيض شوش أفكار أم الفتاه  
فما زال يلهج أهل الحمى      بأن ( الولي ) همام رشاه  
وأن شهاباً تسلم أموال      بكر ولم يعطه مبتغاه  
فقلت نوحراً تزويج حسد      من ليقطع السن هذى الوشاه  
فما كان للمال إثارنا      ولكن لعلم وفضل وجاه  
فأوص صديقك أن يطمعن      إلى الصبر حيناً ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقو      ل همام إذا رُعته بالخير ؟  
أقدم باقة زهر له      وأطوى له الصل بين الزهر  
فلو رُحت تنصَحها بالعدو      ل عن رأيها ! عليها تأمر !  
علام تبالي كلام الطغام      وما ينطقون بغير الحذر ؟  
وأعيان ( سيوون ) تدري الـ      تحقيق وبعد غدٍ يظهر المستر  
سيُحبس هذا الولي الشقي      وتفضح سوءاته والعرر

شهاب : لعلك تجهل أنّ النساء إذا قلن شيئاً فهنّ القدر  
ولا يرعوين عن الرأي لو وضعت بأيمانهنّ القمر  
فكم قد سعت وكم قد نصحت ولكن كأنني نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقام هنا ،

شهاب : ليرح نفسه بالسفر  
إلى الشام أو مصر أو للمهاجـر ( جاوة ) أو للبلاد الأعر  
وبعد ثلاثين شهراً يعو د ، وسوف تمرّ كلمح البصر  
هنالك تبلغ سنّ الزّواج ( حُسن ) وتنضج نضج الثمر  
وربّما عاد ( سعد ) إلينا فيزهو به عُرسنا إن حضر

( ستار )

## الفصل الثالث

### المشهد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء

: ( في جزع )

أهمامُ خَبَّرَنِي بِسُوءِكَ لِي مَالِي أُرَاكَ تَتَضَدُّ الْكُتُبَا ؟  
مَاذَا اعْتَزَمْتَ أَنْتَ تَارَكْنَا لِلْحَادِثَاتِ تَسُومُنَا الْكُرْبَا ؟

همام

: ( في حنو )

لَا يَا أُخَيَّةُ ! أَجْمَلِي جِزْعَا لَا يَنْسُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الرِّبَا  
سَفَرِي لَطَوَّلَ إِقَامَتِي سَبَبٌ وَلِرُبِّ بَعْدٍ أَعْقَبُ الْقُرْبَا

( يَتَغَيَّرُ وَجْهَهُ )

إِنِّي أَخَافُ إِذَا مَكُنْتُ هُنَا أَنْ لَا أَطِيقَ فَأَقْضِيَ النَّجْبَا !  
( يَخَالِطُ صَوْتَهُ الْهِكَاةَ )

أَيْسَرُ قَلْبِكَ أَنْ أَمُوتَ أَسَى فِي الرَّبْعِ إِذْ تَبْكِيَنِي نَذْبَا ؟  
أَوْ مَا رَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ قَطَعُوا صَوْتَ الْحَيَاةِ وَكَانَ قَدْ لَبَّى !  
حَفَلُوا بِسَمْعَتِهِمْ - كَمَا زَعَمُوا - لَكُنْهُمْ لَمْ يَحْفَلُوا الصَّبَا  
لِيُمْتُتَ شَهِيدًا مِنْ يَشَاءُ وَلَا يَتَوَهَّمُوا فِي عِرْضِهِمْ ثَلْبَا  
أَهْ ! أَهْذَا كُلُّ مَا أَعْمَى ؟ وَلَقَدْ وَهَبْتُ الرُّوحَ وَالْقَلْبَا !

( يَتَذَكَّرُ حَسَنًا وَيَسْتَحْضِرُهَا كَأَنَّهَا مَائِلَةٌ أَمَامَهُ تَسْمَعُ مَا قَالَهُ )

فَيَسْتَحْيِي مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَهْلِهَا )

يا حسن ! معذرة فأهلكنا لهم الملام وما جنوا ذنبا  
حاولت عتبهم بتوعدة لكنني لم أحسن العتبا  
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن ترضى رأيت عذابها عذبا !  
وإذا غضبت غضبت في بصري فأرى الخليفة كلها غضبي !  
( ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون )

زهراء خليني لأرحل عن هذي الديار فأسلو الحببا  
فلقد لقيت به دواهي له رغن الجبال تركهسا ترعا  
هيئات هيئات السلو ! ويا ليت السلو يُباع أو يُحصى !  
أفكلما سَفَرَ اللقاء أتى آتٍ فسُدَّ دونه الحجاب !  
أو كلما اتسم الربيع لنا جرت الدبور وهبت النكبا ؟  
( آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه )

زهراء

عفوا هُمام فليس قصدي أن أهيحك يا ابن أمي !  
لكن شجاني أن تفارقنا وتركب ظهر يَمِّ  
إنَّ البلاد لسوف تفارقك فيك نجما أي نجم  
نجم يفيض هداية وسناه من خلق وعِمْ  
تُبا لدهر دأبه يرمي أفاضله فيصمى  
أيصدُّ مثلك عن مطا ليه ويُمتع كل فدم ؟  
أهمام إن كنت اعترمت على الرحيل فخير عزم  
إذهب وعُدَّ عما قريب سب بين عافية وغنم  
سليكون ربك حافظا لك في الفلاة وفي الخضم  
ولسوف تدرك ما تؤمِّل ما ظلمت إليه ترمي  
نقبي بحسن أن تعيد ك خففت حزني وهمي



همام

: ( في حزن وأسف )

لكنَّ حُسْنًا لم تشأ تنوير عظمي الملهم  
 كم قد كتبتُ لها الرسا تل بين متشور ونظم  
 فتصدَّ عنها لا يجيب كأنها لا تعرف اسمي ١١  
 وطلبتُ مندباً لها ليكون في الظلمات نجمي  
 ويكون أنسي في البعا د يكفُّ من حزني وغمي  
 آوي إليه إذا نزا قلبي بضم أو بلثم !  
 ولقد أتاني رثها لكن تعثر فيه فهمي  
 وإليك فاتلبه ثم اقضي على حُسن بحكم  
 ( يناورها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها )

### الرسالة :

حبيبة قلبي عليّني بتتويـل  
 أقضُ زمانِي في رجاء وتأميل  
 بعثتُ إليك الكتب تترى ، فلم أفر  
 ببعض جوابي منك يا غاية السؤل  
 كأني لم أحمل هواك ، ولم يكن  
 لقؤك قصدي في الحياة ومأمولي ١١  
 وهذي النوى قد أوشكت أن تميل بي  
 إلى عالم من رقعة الأرض مجهول  
 أقضي به دهرًا قضيتهم به على  
 حُشاشة صبّ عائر الجدِّ مخفول

فجسودي بما أملتُ منك وأجملني  
وداعاً المفتون بجُبلِك متبول  
وإني لراضٍ منك يا حُسنُ باللقا  
بقطعة ثوب أو بشقة منديل ،  
لعلني أسطوع أنزاداً من الجوى  
بضمي إياه لصدري وتقيلي ؟  
همام

## الرد

جوابك عندي ما تظن ، فلا ترم  
بكُتُبك لإحراجي فإنك ذو علم  
وإني فتاة ليس أمري في يدي  
فإن شئت فاطلب ما تؤمل من أمي  
حُسن

زهراء : ( تلثفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها )

|                         |                         |
|-------------------------|-------------------------|
| همام أمّا جوابُ حُسنٍ   | فإنه أبلغُ الجواب       |
| دلّ على الحبِّ والتفاني | فيك إلى عِفّة الحبّ     |
| وإنها إن تحبّ يوماً     | ففي حمى الصُّون والحجاب |
| إن كتاباً يأتيك منها    | رسولُ أمّالك العذاب     |
| ما تبتغي أنت فوق هذا    | يأتيك من غادة كعاب ؟    |
| لولا هوئى صادقٍ لديها   | لم تر منها نصف كتاب     |
| وسوف أتيك بالذي رمّ     | ته فلا تبق في الكتاب    |

## المشهد الثاني

( همام على حماره في طريقه إلى الساحل ( المكلا ) بعد  
أن شيعه إخوانه وأصدقائه . أمامه دليله الهدري عامر يقود  
جملا له يحمل زادهما )

|      |                                |                                  |
|------|--------------------------------|----------------------------------|
| همام | : رويداً رويداً حِمَار البعادر | فإنك تبعُد بي عن حبيبي !         |
|      | ولم يكْ عَطْوُكَ فوق الترى     | ولكنه فوق قلبي الكيب !           |
|      | أراك كنتعش بحسبي يسر           | ولكن إلى غير قير قريب !!         |
|      | فيا بعد (سَيُون) عني؟ ويا      | ذَنُوكِ (جاوَة) من ذي السُّهوب ! |
|      | عليها السلام سلامُ الودا       | ع، سلامُ البكاء ، سلامُ التحيب   |
|      | سلام على حسن بين العذارى       | سلام على قلبها في القلوب !       |
|      | سلام على دارها في الديار       | سلام على دربها في الدروب ؟       |
|      | سلام على أهلها الطيبين         | من كلِّ برٍّ كريمٍ نجيب          |
|      | سلام على وطنٍ طاهر             | تضوُّع منها بمسكٍ وطيب           |
|      | سلام سلام على ساعدي الـ        | أشدُّ وصنوى المطيع الأديب        |
|      | سلام على خيرة الأصناف          | ء عميد الألعى الأريب             |
|      | سلام على لطف زهراء إذ          | تفرِّج همي ، وإذ تعني بي !       |

( همام في بلاد الأحقاف )

( يخرج المندبل من جيبه فيضمه إليه ويقبله )

أتعلم يا مندبل أنك مؤنسي وأنت عندي للكريم المحيب  
وما ضرر من ينأى - وأنت بحقه أنيس نواه - أنه يتغرب

( يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلا

يتأمل في تلك الآثار ) .

انظر إلى هذي السهول فقد كانت جنانا لا فجاء بها  
من عدوة الوادي القصي إلى الـ  
عمر الجثود بها مواطنهم  
ما بعد عام الألف ما قذمت  
لما تحف بها مواطيء أقـ  
البئر والسمراء ، والنرة الـ  
والنخل والأعناب حافلة  
والسدر يفرش في الفضا بسطا  
فهناك النعماء تخطر ما  
لله عيشهم فلا كـلـ  
دع عهدا العادي من قديم  
إذ كانت الأنهار جارية  
كانت مزارع ما لها حد  
- غير الممر لراكب - تبدو (١)  
أهضام من حذاره تمتد  
فغنا وعيشهم بها رغد  
منه العهود وما بها يغد  
لذام الألى اشتغلوا بها بعد  
بيضاء والأفواه والرند  
بقطوفهم كأنها شهد  
من سُنس خضرا فينسد  
بين الحقول يزينها البرد  
يعتاق صفوهم ولا جهد  
فلقد تقادم ذلك العهد  
نحت الجنان كأنها الخلد

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهد  
حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بماتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها  
بحالية من الأشجار والزرورع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلك الحقائق لا يُصلقها قوم عيون قلوبهم رمد  
تلكم بقابها تدلُّ على ما كان - سدُّ ذونه سد !  
يحتاز ماء القطر يقسمه بين الأراضي حكمها القصد  
فنمت مزارعها فما قَبِيتَ فيها الغيوث تروح أو تغلو  
هي سنة الباري فما كثر الـ أشجار فالأمطار تشتد



قف سائل الآثار كيف ذوت تلك الخمائل فهي ذي جُرد  
تخبرك إن نطق : ورثما نطق الجماد وقوله الرشيد  
في بطن أرض أنست واطنهما همم تصول فليس ترتد  
تصبو إلى العمل المفيد ترى أن السعادة ركنها الجِدُ  
فتلاهم خلف كأنهم لا ساعد لهم ولا زند !  
فَسَيُّلُنَا ترديدنا أبداً : نعم الجلود وبهت الولد !!



### المشهد الثالث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة ( بلاد البدو )  
( همام يلتفت - وقد كادت الشمس تغرب - إلى بدوية عامر )

همام : سر يا أبا البلو وحيث جملك لا يُظلم الليلُ ويشتدّ الخلك  
ونحنُ لما نأت بعدُ منزلَك أبلغك الله بخير ما ملك  
ولا أصابَ الحبُّ يوماً مقتلَك

عامر : هُمام يا خير سرّاة العُرب لا تذكر الحبَّ إعيان صَبَّ  
متى دعا داعي الهوى يُلبَّ إني أحسُّ ضرماً في القلب  
ينفع في صدري ويكوي جني !!

همام : بالله هل تُعرف معنى الحب؟ وما به من فرح وكرب  
وهل سَعِدْتَ مرةً بالقرب أم أنت مثلي مستطار اللَّبَّ  
لَمَّا يَفُزُّ من حوضه بشرب

عامر : أنتَ إذن يا صاحبي سعيدٌ وإني وحدي أنا المعمود  
من بعد ما طابَ لي الورود حلاتي عن حوضِها الصُّدود  
فليس لي صَبْرٌ ولا محلُّود

همام : أنت السَّعيد وأنا المنكودُ فالوصلُ مهما قلَّ فهو عيدُ  
تُشفي به من دائها الكُبود لكنَّ حجري الأبدُ الأبيدُ

عامر : لَيْسَ الزَّمانُ لي بهِ يَجودُ      وبعدهَ تطوَّيْنِ اللُّحودُ !!  
يُظْهَرُ لي من بعض ما أراكَ      أنكَ تَهاوَا كما تَهاوَا  
يا لَيْتَ حظِّي من وجودي ذاكَا      إذْ نَ لَكتُ حامِداً مَولَاكَ  
وما شَكوْتُ مِثْلَ مُشْتَكَاكَ

همام : عامر مِمَّا زادَنِي ارتِباكَ      أنا اشترَكنا في الهوى اشترَاكَ  
أشكو نواها وهي تشكو ذاكَا      فيستَهْلُ مَلَمَعِي اشتِباكَ  
لَمَّا بَلاها وبَلا أخاكَا

عامر : ( في حزن )  
لا تَحسَبَنَّ هَجرها هَجرَ شَرَفٍ      لَفرطِ غنجٍ أو دلالٍ أو ظَرفٍ  
لَكنه أَشنعَ ذنبٍ يُقَرِّفُ      تَترَكُنِي زَوجاً إلى غَيري تَرفٍ  
وَصَلِّ عَقلِها مَعِي لَمَّا يَجِفُ

همام : رَبِّاهُ في كُلِّ مَكانٍ ذو شَقفٍ      يُسَلِّمُه الحَبُّ إلى مَهِوى التَّلَفِ  
رَحماءُ بِالعِشاقِ من جَورِ الحَيفِ      ما غارَ من غَورٍ ولم يَعلِ شَرفِ  
إِلا وفيه مَغَرَمَ القلبِ دَيفُ

## المشهد الرابع

( يصلان إلى حي عامر في الريدة ( بلاد البدو ) . يذهب  
عامر لسقي جملة وإراحتة ويسلم هماما لأخته ناهية )

ناهية

: (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهلاً بمن وافى دار أنحى عامر  
إنزل على الرحب في المنزل العامر  
وأمر عما شئت فإنك الأمر  
( تهى أدوات القهوة وتباشر إصلاحها )

همام

: بورك يا أخت فيك وفي عامر  
سرّيتما عني بلبالي الثائر  
سماحة البادي يجهلها الحاضر

ناهية

: ( منادية )

هلم يا سعدى هلم يا لبنى !  
لنلم حيين ضيف أضيكتنا  
( تدخل فتاتان جميلتان متلصحتان وتصافحان هماما . ينظر  
إلى إحداهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك ) .

ناهية

: ( لهمام )

إني أرى عينيك عيني شاعر قل ما تشاء ويك لا تحاذر  
لا بأس عندنا بلحظ الناظر إنا نرى العفة في الضمائر



همام : رأيت بلداً نصفه في السحب والنصف مبين  
هبي عليها يا نسيم واكشفني ذاك الجبين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لو أزاحت لثامها لك ما أنت فاعل ؟  
ولو أنجأت السحابة ب ما أنت قائل ؟

همام : سأريها الغزال لو أن بلداً يغـازل  
وسـروى روائعي في هواها القـبائل

ناهية : همائم ! ما البدويـا ت عند غيد المـدائن ؟  
الموقرات من التبر حاليـات المحاسـن  
كأنمـا أنت بالبد و ساعـر أو مـداهـن !!

همام : لا والذي فلق الحـب ، سره فيه كامن  
لفي للهـى البدويـا ت معجزات المحاسـن  
لحـاظهن سـهام لها القلوب . كـنائـن  
قدودهن رمـاح في كل قلب طواعـن  
جـاهن الطيـعـي زاحـر بالمفـاتـن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب أبو الطيب السامي على كل شاعر  
تخامي حسان الخضر في الشعر ناسباً بما في البوادي من مهّي وجاذر  
ما أوجه الخضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعايب  
(حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب )  
( يَدْخُلُ عامر )

عامر : يا مرجباً بهمام النَّدب إنزل على سعةٍ على رَحْبِ !  
هل تشركوني في حديثكم فلعلكم تحلون من كربى

ناهية : ضيفك يهوى البدويات ولا يحب الحضريات

عامر : أتحيهن همام ؟ إنك شاعرٌ ماذا تعشق في طباء البادية ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دُها ولحاضها مثل السهام الماضية  
وتُميلني سكرًا طِوال قنودها وتشوقني منها الخلال العالیه

عامر : إن كنتَ تعشقها فخذ بُنى ( مشيراً إلى لبنى )  
وخذ إن شئتَ سَعْدَى (مُشيرًا إليها)  
(مُشيرًا إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية

( يضحك الجميع ويضع المجلس بالضحك )  
ناهية : أما أنا فلا أحسبُ شاعراً يَلْفِظُنِي عُمرًا ويهواني رطب

يُطالع الغيدَ الحِسانَ دهرَه فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدرى من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشتبها  
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيّ شيء يُفضلُ الشاعر يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لقبله واحدة من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه  
يودّعها مُهتته فيرتوي منها الهوى . وينقع الحب صداه  
يطبّعها على الجبين ذاكرًا كل تحليل في الزمان وهواه  
كانما يجمع تاريخ الهوى بقبله الخلدَيْن أو لثم الشفاه

( ينتفض النفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيمًا . ويبقى

ساعة في ذهول )

أستغفر الحب لقد أشركتُ في عبادته  
ماذا أقول لحبيبي خُتته في غيبته ؟  
أيدّعي هواه من يُخفّسه في ذمته

\* \* \*

كانني بالحب يلو نبي بسوط نِقمتَه  
ألحدتُ في توحيدِه لم أخشَ من عقوبتَه  
أكلما لاح جمال همت في صباهتَه ؟

ناهية : عامر ! ما للضيف لجّ غارقاً في غشـيـته ؟  
إنـي أعـاف أن يصـا بـ في الحمـى بميتـه

عامر : دعيـه ! خلـيـسه ! فإني عارفٌ بمحتـه  
سـينـجلي عـنه الـذي أصـابه مـن سـكرته

همام : ( باقياً في ذهوله غير منتبه لما بين يديه مستطرداً في حديثه )  
يا حسنُ ! لا تعاقبي عبـدك في جرمتـه  
فقد أتاك تائبٌ مـن ذنبـه وهفوتـه  
ما كان إلا عابداً حُسنك في قداسـته  
يشهده في كل وجـه زاخـر بفتتـه  
في طلعة البدر ، وفي الظبي وحُسن لفتـه  
وفي زهور الـروض في ريعـه ونضرتـه  
وفي وجوه الغيد شيءٌ مـن ضياء غُرَّتـه  
يختلف الحراب والـر بـ بوحـدانيتـه

( يدار بهامر ويغشى عليه . توتاع أخواته وتأخذن في تنبيهه برش الماء عليه )

|        |   |
|--------|---|
| ناهيّة | : عامر !  |
| عامر   | : ها !  |
| سعدى   | : عامر !  |
| عامر   | : ها !  |
| لبنى   | : عامر !  |
| ناهيّة | : قم يا عامر !  |
| همام   | : همام  |
|        | ( مقيّقا من ذهوله )                                   |
|        | ما لعامر ؟ هل نـ                                      |
| ناهيّة | : ( لنفسها ) يهذي الآخر !                             |
|        | ( ثم همام ) أما تراه ساقطاً مغمى عليه يا همام ؟       |
|        | روعتما قلوبنا الليلة في هذا الظلام ؟                  |
| همام   | : لا تخافي سوءاً على عامر إنني لأدري بما يعانيه عامر  |
|        | أسمعيه اسم زوجه يصـح من إغمائه                        |
| ناهيّة | : إنها لزوج غادر !                                    |
| همام   | : إن تكن غادراً فإن هواها لجّ في نفس عامر والشراشر !  |
| ناهيّة | : إنه قد سلا هواها ؛ أيها ها وقد آثرت عليه ابن جابر ؟ |
| همام   | : صلتيني بأنسه ما سلاها إنني عارف له ومخامر           |
| ناهيّة | : غصنُ ! يا غصنُ !                                    |

- عامر : ( يمسح جبينه )  
 أين غصنٌ أ جاءت ؟ مرحبًا مرحبًا بأكرم زائر !!  
 راجعيني يا منية القلب بالله فإني لما جنيت لغافر !  
 ( بصوت منخفض )  
 أو فخاني من عامر فسيردي - لك - على رغم أنفه - وابن كاسر  
 ( يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته )  
 أين غصنٌ أمت جهة المخدع ؟  
 ناهية : يا عامر اتبه يا عامر !!  
 لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إنَّ في حينًا مئات الحرائر !
- همام : ( لعامر )  
 عامر قم بنا نصلّ فرضنا  
 ( يلتفت للنسوة )  
 وقمن أنن فهينن الوضوء  
 وقمن صلين جميعًا خلفنا  
 ناهية : ويحك هل على النساء مفترض ؟  
 لا نعرف الصلاة هل تريدنا مثل الرجال للصلاة نهض ؟  
 حسب الفتاة عندنا استقامة بأن تصوم الشهر إذ ترمض
- عامر : حتى الرجال بعضهم يصلي  
 وكنت فيما مرّ من أيامي أخشى من الخمس على أنعامي  
 فإن غضبت مرة على جمل رميته بركتين فاحتمل !

حتى علمتُ بعد ذاك أنه وهمٌ فأقسمتُ لأتركه  
ومنذ ذاك ما تركت الحمسا وما رزمت بكرةً أو عنسا

همام : رباه هل تبلغ دعوة النبي إلى ربي الصين وأقصى المغرب  
وتخطي الدعوة أرض العرب؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب الذنب ذنب قارئ الكتاب  
من ساكني الحضر ذوي الألباب إذ لم يثبوا دعوة الوهاب  
في البدو أهل الجهل والغلاب وعطلوا بأوهن الأسباب  
وصية النبي والأصحاب

همام : ( في أسف وحزن )

شغلتهم قبابهم والقبورُ أن يقوموا بدعوة أو يسيروا  
حسبوها في نسكهم كل شيء فعلام الإدلاج والتهجير ؟  
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر إليه التيسير والتعسير !  
وإليه اللجا وفيه المرجى وعليه التكلان وهو المحيرُ  
كاشف الضرِّ إن أصيبوا بسوء فإليه ابتغالهم والحضور  
وإذا ما انتفوا قضاء مرام فإليه قربانهم والننور  
كيف ترجى هداية البدو منهم وهم عن سنا الهداية عور ؟  
إن حسب البداة أن يستظلوا في حمى دجلهم وأن يستجروا  
ويكونوا على هواهم نزولا بيديهم شئونهم والأمور  
حسب ذلك الخضوع ليضبحوا سُعداء وذنبهم مغفور

آه لو هُذِبَ البِدَاءُ لَأَمْسُوا وبهم للأثم عجز كبير  
ولكنوا عن قتل بعضهم البعض وقَطَعَ السبيل وهو كبير  
ولساد الأمان وانبسط الخير وزال الشقا وعم السرور

\* \* \*

### المشهد الخامس

( تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جملته وهمام يشد

حماره يتهيآن للسفر )

همام : ( راكبًا على حماره وعامر يث جملته )

عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة

عامر : أنت الذي شَبَّبتَ بالتذكُّار نارًا بقلبي يا لها من نار !

هما م : كيف انطرحت ساقطًا مغمى عليك !؟

عامر : كيف هذيت والنساء بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسمي استرح !!

أواه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الخب الدعي !



همام : يا عامر أَسَدٌ وخَلَّ الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا  
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها منهاها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟  
لا والنبي المصطفى للمختار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير الباري  
فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك  
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي ومحيي الميت  
لأستقين النغل موتاً أحبراً وأروين من دمائه الثرى  
وأفتكن بعده بالفاجره أفلئها قبلي لدار الآخرة !

همام : يا عجباً تقتلها وترتقب بعد لقاءها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها  
تأبى علي غيـرتي عليها تركي سواي أويأ إليها  
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمداً !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فدخل اللوما  
أنت تقول الخلف بالتي محرّم في شرعه السوي  
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟  
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟  
يسرون ليلاءً بعبد الله أعظم من إبلاتهم بإله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك  
أعزز علي أن أراك عاقلاً منور الفكر وتغلبو قاتلاً

عامر : همام إنني شاكر وداذك ونصحك المحوض واجتهادك  
فإن أطلت الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي  
وإن تغلب الشقا عليه فلست إلا من بني غزّيه !

## الفصل الرابع

### المشهد الأول

« همام - خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت  
عائداً إلى سيون - بعد أن قضى عامين ببلاد جاوا - راكباً  
على حماره ومعه دليله النجاف حاملاً فوق ظهره رزمة من  
الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام : أسرع السير يا دليل ! أسرع السير يا دليل !  
إن بي ظمأة لما بـ سيون سلسبيل  
بُلّ مني صدى الجوى واشف من جوفي الغليل  
ليت شعري - وكادت النفـ من من يأسها تسيل  
ومضت أربع طوالـ وعمر النوى طويلـ  
في انتظاري - والانتظا ر لأهل الهوى قسول  
أترى الوصل لي متا ح أم الوصل مستحيل ؟  
أذا ما دنوت ميلا تباعدت ألف ميل ؟  
قسماً بالحبيب ! - أستغـ فر الله ! - بالجليل  
لا أرى الوصل ممكناً أو أرى وجهه الجميل  
وأراه بعين رأسي بلا حائل يحول !  
وأحسن اليمين في 'فرعه مرة تحول !

ضاق صدري ، وعيل صبي  
وتساهى بيّ الجوى  
وتداعى أضالعي  
واستحالت قريحتي  
أتهادى كثراربي  
جاحم في جوائحي  
كلما قلت : ذاب قلبي  
رج صدري خفوقه  
فحنانيك لا تلم  
ليت شعري هل لي إلى  
فأمانني أو شكت  
أحقتلي وحدي أنا الجدي  
أسرع السير يا دليل  
سري وضلت بي السبل  
وبرى جسمي النحول  
من نشيج ومن عويل  
من ذكاء إلى ذمول  
أوهنت ساقه الشمول  
يتلفي بلا فزيل  
وغائته منه غول  
فتوقعت أن يميل  
أو فليم أهب العنول  
ما تمنيت وصول ؟  
أن يموت من الذبول  
ب والخصب في الحقول ؟  
أسرع السير يا دليل !

النحاب : يا أبا الخضر هل ترى :  
رجلاً سيره ثقیل ؟  
لست أحتاج أن تقول :  
أسرع السير يا دليل  
ينهب الحزن والسهول  
أحتشني أن يفوتني  
« نصر » نجاب ( باعقل )  
( يصمت قليلاً ثم يقول )

أين نصر مني ؟ وأين  
من المضمحل المزيل ؟  
أنا سيري منظم  
لا بطيء ولا عجول  
وهو يشتد في الذم  
سل فيحناقه الذميل

أنا غول القفار وإبـ من الدياميم والهجول  
 لا أبالي إذا مشيتُ أذى الشمس والوحول  
 : همام ما لتجارنا عباديد شتى يتبارون بغضة وحفودا  
 كثروا عدة وقلوا غناء وأضاعوا بالافتراق الجهدا  
 وغنوا كل واحد يريد ما لهم لا يوحدون اليريدا ؟  
 فيطيقوا إرساله كل أسبو ع ويجروا به نظاما سديدا  
 إن في طوفهم لو اتفقوا أن ينشؤا السفن في البحار عديدا  
 وبها يستغنون عن سفن لأجـ سب يصلهم العذاب الشديدا  
 ولقد كان للحضارم في البحـ سرفين أيام كانوا أسودا  
 جاريات من الخليج لبحر الـ هند حتى ( أنلونيسيا ) لتعودا  
 داؤنا أننا نحب جماعات وقد ندرك النجاح فرودا  
 أسرع السير يا دليل ! أسرع السير يا دليل !  
 واصل السير لا مبيت - إذا شئت - أو مقيل  
 : ( متهكما ) النجائب

أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل  
 هل تراني طيارةً هل تراني أوتومبيل ؟؟  
 ( يشير بيده إلى طريق السيارات التي بدى بإصلاحها بحضر موت  
 بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعييدها )  
 دونك انظر طريقه ! فتتهى عما قليل  
 : همام ليته قد مشى فأو صلي الليلة ( السحيل ) (١)

النجاب : لا رعى الله عهدَه  
 لا تقدره يا الهى  
 وإذا تم فأنزلهُ  
 وإذا ما مشى فلا  
 همام : قل لي لأية علة  
 ماذا جنّاه عليك حتّى  
 النجاب : هو قاطع رزقي القليل  
 من كل جمال وحمى  
 أتريدني كالخضر إذ  
 وبشر آمال النهو  
 تعسوا وحاب رجائهم  
 همام : ( لنفسه )  
 فهم الفتى البدويّ ما  
 لم يفهم النّس الرشيد  
 ( ثم للنجاب )  
 حييت من فطن فدا  
 ما قلته كاف ليتم  
 ووراء ذاك سوام أبصر  
 سلّ المالك والشعر  
 من كل لصر قاتل  
 لكن ظلم الناس بعد  
 ليعيش فرد واحد  
 ولسوف يجنون النّدا  
 إنّه عهد عزريّل  
 وعسّر له السبيل !  
 بأذى البدو والقييل !  
 فارق الوحل والسيول !  
 أبغضت خلقاً من حديد ؟  
 سى خلته الخصم العنيد ؟  
 هل غداً وأرزاق العديد  
 صار زماش باليريد  
 خالوه مفتاح السعود ؟  
 ض وفجر أيام الصعود  
 وتعثرت بهم الجلود !!  
 فك كل ذي ذهن بليد  
 قبت ما يضر ولا يُفيد  
 تنفث السم المبيد  
 وب هيضة العصر الجديد  
 للمال والخلق الحميد  
 ضهم لبعضهم عتيد !  
 لا بأس من شعب يبيد !!  
 مة منه والأسف الشديد !

## المشهد الثاني

« منيسط من الأرض فسيح يرى في آخره من جانب  
الوادي مدينة « سيون » على بعد بحيث لا يتبين الناظر إليها  
إلا بياض منائرهما وأبنيتها العالية مخوفة بهالة عظيمة من خضرة  
النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام : أهذه سيون أم جنة عدن أزلفت للمتقين  
للله ما أجملها منظرها الزاهي يسر الناظرين  
تحسبها - من بُعد - حديقة خضراء تسقى من معين  
قد نثرت في تربها جناهد اللؤلؤ والدر الثمين !  
تفوح في أرجائها روائح الورد وعرف الياسمين  
يحنو عليها جبل كما تضم طفلها الأم الحنون !  
تضرب في أجوائها منائر تخفى مراراً وتبين  
كانها أعمدة قامت عليهن السماوات المعون  
تجعلها الرياح في أو كقرون حامل الـ  
أثقله آثامها فمرقت من جوفها تلك القرون  
قيابها زاهية لو لم يكن حرمها أسمح دين

( همام في بلاد الأحقاف )

هَلَمْ بَعْضُهَا ( بنو الـ توحيد) فيما قد خلا من السنين  
فهي ترى كأنها بيض نعام أجفلت من صائدين  
ريعت فداست بعضه فهو على الأرض فليق وطحين

\* \* \*

لَمَنْ يَكُنْ مِنْظَرُهَا وحسبها الزاهي متاع المبصرين  
فإن في مخبرها خبير متاع لقلوب النازلين  
تفردت جسامانها بالظرف واللين إلى خلق متين  
ورقة كأنها نسيب (عباس) أرقته اللحون  
كأنما أنت إذا جُزّت بها تخطر ما بين الغصون  
إياك من لحاظها إياك أن تصرع من سحر الجفون

يَتَهَدَّ

كَأَن ( حسناً ) أفرغت على رباها من جمالها المبين  
نضارة كحلها تعب حتى ترتوي فيها العيون  
ورقة في جودها كما تلدى خجلاً منها الجبين  
في مائها حلاوة من ريق حسن ما لهور الأندرين؟  
وفي غيها شمسها ملاحاة من ذلك الوجه الحسين  
وفي قلوب نخلها من قد حُسن هيف به تزين  
صباحها الفضة قد سالت على زمر من الغصون  
وذهب أصيلها بيتعت الأنس ويهتاج الشجون  
من نحرها ونحرها ووجتها سرقا تلك الفتون  
وليلها مُعْتَبِر كفرعها في عرقه وفي الدجون



مدينة شبيها في حضرموت وسواها لا يكون  
(يتأوه)

لولا توانى أهلها لقلت هذه جزاء العاملين  
ليس لديهم عمل إلا قضاء الوقت في هو مشين  
يشقون في غربتهم بالجمع للمال وهم مقتصدون  
حتى إذا ما وصلوا إلى بلادهم إذا هم يسرفون  
كانهم قياصر يُلْدُون المال لا يكثرثون  
ولا يفكّرون في خدمتها بالتر مم يجمعون  
ولا يزالون في غربتهم صناعة أو يخلقون  
لينفَعُوا أوطانهم بها إذا عادوا إليها راجعين

\* \* \*

### المشهد الثالث

( همام في مكتبه وعنده صديقه محمد يزوره زيارة  
خصوصية بمناسبة قرب زواج همام )

|        |                      |
|--------|----------------------|
| همام : | عمدُ                 |
| محمد : | لييك ا               |
| همام : | ماذا ورا ءك من خير ؟ |
| محمد : | ليس عندي خير         |

سوى أن قلبي مستبشر  
وأنتك سوف ترى من تجب  
بنيل المنى وبلوغ الوطر  
قريباً وينزاح عنك الكدر

همام : أخى أنا في مِرْية بعد في  
فقد درجت في انتظارى السنو  
لقاء حبيب فؤادي الأغر  
ن وما بُلَّ من ظمأى المستعر  
إذا وعدوني جُمادى اللقا  
ء تلاشت جُماداهم في صفر

عمد : همأم زمان المطال انقضى  
أتغري بقلبك بَرَح الشكو  
وهذا أوأُ الوصال ابتدر  
ك والوصلُ بعد غدٍ منتظر ؟  
وهذي بيوتك قد زِلَّت  
وأهلوك في نَشْوات الحَبَر  
وأكدتُ أَمس على المطرب  
ن- على رغم أنف الذي قد حَظَر -  
بأن يحضرونا مساء الزفاف  
وصبحَ الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضى المطربو  
ن بذاك ؟  
محمد :

رضوا بعد طول النظر  
فداويت بالمال ذاك الحنر  
وخشوا المانعين لهم أولاً  
ومنعهم الناس أن يطربوا  
كما يطربون . دليل البطر  
وليس بذاك لهم حجة  
سوى كبريائهم والأشر  
محمد : لا أتغني المطربين  
على أنني لك ممن شكر  
لئلا يقال : لحظَّ هوا  
ه دعا للمساواة بين البشر  
وإن سروري بالوصل لا  
عن نَقَر الدَف أو من زمر  
ولكن سيزدان بالمطربين  
زواجك ! هلاً به تفكر !!

صديقي إلى مَ تحامَ الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟  
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد الليل ، وحيد البكر ؟  
: همام رويدك !

محمد

« يتلذذ به البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

: ( لنفسه ) ويلاه مال صديقي أدمعه تبتلر .. ؟  
أشقى عليه كلامي ؟

همام

( ثم لمحمد ) محمد — — — — — زلت لساني ألا تغتفر ؟  
: ( لنفسه )

محمد

إلهي أبحثُ بسر الهوى وكنت على كتمه أصطبر ؟

: صديقي أحسب أنك سر ت فؤادي ودأبك لي أن تسر  
أمثلك يرحمني قوله ؟ فلك لعمرى إحدى الكبر  
ويا ابن الأكارم ماذا جنيت حتى تنصل أو تعتلر ؟  
همام كتمتك جهدي الهوى ولكن أبى الحب أن يستر  
همام أتعهد مني البكاء همام أتعرف في الخور ؟  
وكنت ألومك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عثر !  
وأعجب كيف تصول الظبا ء على الأسد؟ حتى رماني القدر!

ثم لهما

: محمد ! لا تحبمن الدموع ودعها على رسلها تنهمر !  
فإن القلوب إذا أجدبت بمز فإن الدموع للطر !  
وقل لصديقك أي الظبا ء رماك وصرح له بالخبر  
فما في الصباية عار على فتى طاهر النيل عف الأزر

همام

محمد

: ( يكفكف من دموعه )

همام أتذكر « علوية » نصيرتنا في الجهاد العسير ؟  
 سيلة طه ، فاة الحجي ، مثال الكمال مثال الطهر  
 أتتى يوماً على حالة تذيب القلوب وتجري العبر  
 محمد ! هذا أوان الغيث وهذا أوان تلامي الخطر  
 مضت ليلتان وما عدنا من القوت شيء به نعتصر  
 وأخضت غارقة في السقا م وإنني لأحسبها تحتضر  
 وزوجة عمي في طلقها تعاني المتاعب والوقت قمر  
 وعمي سافر منذ شهر ر فلا عاش مضطره للسفر  
 وكان لدينا بحانوته يعيش ويتجر فيمن تجر  
 فشنع إخوانه بل عداه عليه ، وقالوا : ليم قليل  
 يندس أحسابنا إذ يرو ح إلى السوق كالتس أو يتكرا  
 فما أنهت القول حتى غلو ث ويوشك قلبي أن ينفطر  
 وأذهلها الحزن عن موقفي فلم تحفظ ولم تستتر  
 فأبصرتها من خلال الحجا ب كما لاح بين السحاب القمر  
 رأيت الجمال ، رأيت الجلال رأيت الهوى والشباب النضرا  
 وراحت تبت علي الثنا ء بما قد قضيت لها من وطر  
 وقد تركني سليب الفوا د قليل القرار ، كثير الفكر  
 أردد أقوالها في الضمير ترن بأذني كصوت الوتر  
 فهأنذا بعلمها يا همام قصير الرقاد طويل السهر  
 رحمت فأسعت ثم انتيت وفي كبدي مثل وخز الإبر  
 فلفظك يا رب فيما قضيت فلم ينج مما قضيت الحذر !

همام : يا صديقى عندي إليك عتاب واطراح العتاب مني قبيح  
أكذا تكلم الحوادث عني وما دونها إليك أبوح ١٩

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي فاحف عني فانت عني صفوح  
إن عيب الهوى عليّ ثقيل وبثيك سره أسريح  
غير أنني كمتك عنك جهدي حنواً أن ينالك التبريح  
ولو أنني نظرتُ فيك لحظي يا خليلي للذي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري فاسل عنه فإنه مطروح  
إن ما أنت آمل سوف أغلو ساعياً في تحقيقه وأروح  
فدع الهم إنها سوف ترضاك وحسب الملبح زوج مليح  
محمد : ( لنفسه )

هو يدري بأن ما أتوخا هـ مُحال من الأمور طروح<sup>(١)</sup>  
فهو يغني بذلك تخفيف حزني إنني بالأسى إذا للذبح

\* \* \*

## المشهد الرابع

( ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » فيما بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها إلى بيت « همام » تعوسطنهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنن بينما الجمهور يتحرك ويتجه - في سير بطيء - إلى جهة بيت همام ) .

|         |   |                  |                 |
|---------|---|------------------|-----------------|
| القينات | : | نحن نزف الشمس    | والشمس في ضحاها |
|         |   | فما أجل عرسا     | يفمره سناها !   |
| الجمهور | : | نحن نزف الشمس    | والشمس في ضحاها |
|         |   | فما أجل عرسا     | يفمره سناها     |
| القينات | : | نحن نرف الحيا    | نحن نرف المني   |
|         |   | نحن نرف الضيا    | نحن نرف السنا   |
| الجمهور | : | نحن نرف الشمس    | ... ..          |
|         |   | ... ..           | ... ..          |
| القينات | : | يا عصابة الفواني | هلم للتطريب !   |
|         |   | اشلون بالأغاني   | واهتفن بالنسب   |
|         |   | واضمنن بالأمانى  | دوامي القلوب    |

- الجمهور : نحن نرف الشمسسا ... ..  
... ..  
القينات : حيين بالسلام هذا الشعاع المسكوب !  
وانشأن بالأنغام كل حزين منكوب  
الجمهور : نحن نرف الشمسسا ... ..  
... ..  
القينات : روائح الجنان تعبق من هذي الثور  
كأنمنا للغاني أمست مراقص الحور !  
نحن نرف الشمسسا ... ..  
... ..  
القينات : نحن نرف المالك في صورة الإنسان  
يجلو ظلام الخلك ويقشع الأحزان  
فهل لديكم فلك بوره يزدان ؟  
الجمهور : نحن نرف الشمسسا ... ..  
... ..  
القينات : يا قمر السماء غص الجفون أغص  
بالذكر والأسماء عوذت بدر الأرض  
الجمهور : نحن نرف الشمسسا ... ..  
... ..

( يقرءون من بيت همام )

- القينات : سقن إلى همام جمال هذا النادي  
واحدون للضرام لباة هذا الوادي

الجمهور : نحن نرف الشمس ... ..

... ..

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار  
النسوة اللامي زفن « حسنًا » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ،  
ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن  
بالدفوف .

القينات : اليمين والإقبال والسعد والسعادة

للمُعرسين فال والفضل والزيادة

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نرف الحسنا نحن نرف بلقيس !

ثم سائرهن : نحن نرف بُنسى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار بجية : هماننا كالمأمون إن زفتكم بوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكُن بلقيسًا فإنه سليمان !!

نسوة الزفاف : النصر للعروسة !

نسوة الدار : بل هو للعروس !

نسوة الزفاف : للبرّة النفيسة

نسوة الدار : للجوهر النفيس !

نسوة الزفاف : للحرّة المصونة وريسة الجمال

للبرّة المكنونة واسطة اللاي !

نسوة الدار : لمفخر المدينة لسيد الرجال

نسوة الزفاف : الناس يعرفونه بكرم الخلال

نسوة الزفاف : النور والشعاع ووهج الشموس



|                     |                      |
|---------------------|----------------------|
| والجواهر اللُّمَّاع | وحَبَّ الكُرُوس      |
| جميعها أشياع        | لهذه العروس          |
| : أجدد والكمالُ     | وكرم الأخلاقِ        |
| والقولُ والفعلُ     | وحسبُ الأعراقِ       |
| جميعهم — آلُ        | عروسنا الغيداقِ      |
| : نحن نزف الحسنَا   | نحن نزف بلقيسُ       |
| نحن نزف لُبْنَى     | فهل لديكم من قيس ؟   |
| : همامنا كالمأمون   | إن زفتم بـورائِ      |
| وإن تكن بلقيسًا     | فإنه سليمان          |
| : كلا العروسين زينُ | للمجد والعلاءِ       |
| فلا تفاضلن بينَ     | سراجي السماءِ        |
| أين الحجرُ أينَ     | كواكب الجوزاءِ       |
| أصوغهنَّ لدينَ      | تاجين بالسواءِ       |
| : يا رب باركهما     | في ذا الزواج السعيدِ |
| واجعل زمانهما       | كأنه يوم عيدِ        |
| وانفجهما بالوُلْدِ  | مثل دراري النجومِ    |
| في ظل عيش رَغْدِ    | وفي صفاءِ يلومِ      |

نسوة الدار

نسوة الزفاف

نسوة الدار

القينات

القينات ثم الجميع

(ستار)

## الفصل الخامس

### المشهد الأول

علوية : ( على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها ) .

علوية : عَلَيَّتِي حُسْن؟ مرحباً بك يا أحد ست !  
 حسن : وقالِ الإله ما تحذرنا !  
 ما الذي تشتكين ؟ نفسي فداء لك من كل علة تشتكيننا !  
 علوية : أقصري حُسْن أن تمنّي على ربك سوءاً لعله أن يكوننا  
 بل سلى الله لي الشفاء عسى أن يقبل الله منك ما تسألنا  
 أو سليه لي العزاء فإني لا أرى الداء تاركه أو أبينا  
 حسن ! إني أحسن في الصبر ناراً تلتظي كأنّ فيه أتونا !  
 أشرب الكأس بعد أخرى من الماء فلا أرتوي كما ترتونا  
 أحسب الماء يستحيل يحوي هباً في الحشى بمن أنينا  
 أنا لا أستطيع أن أدع الماء ، ولا الماء قادر أن يُعينا !  
 حسن : لا تخافي سوءاً فمثلك في العفّة والنبل ما نعى الودونا  
 تبذلين المعروف جهداً لنا س ، وتولين منهم المسكيننا  
 وتراعين للحوار حقوقاً وتواسين بائساً وحزيننا  
 وتوالين من يحامي عن الحق وإن غاظ فعلك الأهليننا  
 فإله الورى سمرعاك ، لن يت ترك يوماً عباده المحسنينا

علوية

: قدك ؛ هذا جميلُ ظنك في أحد  
 إن ربي بخلقهِ للطيف  
 غير أن العباد بعضهم يظن  
 أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي  
 وتصديهم لما ليس يعني  
 مات زوجي ووالدي فلم يُبق  
 غير عمي - وأنت تلدين ما عم  
 قد وهى جسمه ، وخارت قواه  
 أجاؤه إلى السفار ليحلو  
 زعموا أن يعبه وشره  
 ثم إنني مكثتُ في عصمة الأيد  
 لم يعني منهم ليعطُب وذِي  
 وأبي عالم وجدِي حُر  
 ولعل المرأة تصدق عني  
 : بل تعالى الذي براك ، وحلا  
 سطعت أنوار النبوة فيه  
 : وأتاني محمد وهو من بيت  
 رجل بمأ الصلور كمألاً  
 كان لي كلما تضايق حالي  
 وهو كفتي وكفاء أفضل مني  
 فأتوا يزحرونني عنه حيناً  
 ما رأوا لي من قبل ذلك داراً

تلك ، لا خيب الإله الظنوننا  
 يتولى عباده الصالحيننا  
 لم بعضاً ، عن ربهم ساهونا  
 لي وأبناء عمي الأقريننا ؟  
 هم ، وعن واجباتهم يعرضونا  
 لي الدهر عائلاً أو خدينا  
 سي ؟ فقور يهاز الستينا  
 وابتلاه السقام حيناً فحيناً  
 عنهم العار ، هكذا يزعمونا  
 يكسوان الأشراف في القطر هونا  
 هم وفي رقة الزواج سنينا  
 أحد غير فتية عاجزيننا  
 وأصولي أئمة متقوننا  
 إن وجهي ما كان في الحسن دو  
 ك جمالاً يحير الناظريننا !  
 فاستحالت مباهجنا وفنوننا !  
 حبيب أصلاً كما تعلمينا  
 وخللاً كما يسر العيوننا !  
 ساعداً قبل خطبتي ومعينا  
 حسباً أو فضيلة أو ديننا  
 ويسوموني التهذ حيناً  
 فأتوا بعد ذلك يستبقوننا

حسن

علوية

ما ثنّاهم عن خطبتي غير فقري ليس عندي ملمال ما ينشدونا  
 ذهبوا لاهنة الغني وإن لم يك من يتهم وإن كان دوناً  
 وانثروا بمنعوننا من سواهم فلمن ويحنا إذا يتركونا ؟  
 فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! بم أبكي وقد أرقّت الشفونا ؟  
 رب ! كن لي وللتعيسات مثلي ليس بين الأنام من ينصفونا

( لا تما لك حسن عن البكاء فتهمر الدموع من عينيها )

|       |  |
|-------|--|
| علوية | : مِمّ تبكين حسن ؟   |
| حسن   | : من أجل بلوا بك فؤادي أحسه مطعوناً !                        |
| علوية | : تب ذا العيش ! لا هوى لي في العبد ش إذا لم تحفظي عن تعشقينا |
| حسن   | : نحن نحبي وأنتما ؟  |
| علوية | : فوقبنا الله به سياسو جراحنا ويلينا                         |
|       | فوقنا الله ..  |
| حسن   | : فوقنا أيضاً الله به سياسو جراحنا ويلينا                    |

## المشهد الثاني

( حسن في غرفتها . همام داخل إليها ) .

|      |  |  |
|------|--|--|
| حسن  | : حبيبي ؟                                |  |
| همام | : أجل مُنيّتي !                          |  |
| حسن  | : أمالك في قبلة ؟                        |  |
|      | تعال إلى جانبي أمالك في ضمة !            |  |
| همام | : ( يهوى إليها )                         |  |
|      | بلى يا حياة الفوا د ، وليك يا مهجتي !    |  |
|      | هيني لأك هيني أطفئ به غلتي !             |  |
|      | هلمي نطف بالحيا ة كالنحل بالزهرة !       |  |
|      | فما في النسي مثل قبلة الزوج للزوجة !     |  |
|      | نعال بها نعمة وحسبك من نعمة              |  |
|      | ونجني بها لذّة وناهيك من لذّة            |  |
|      | وهل كنعم يجيء من الله بالرحمة ؟ !        |  |
| حسن  | : حبيبي ! أمالك عن هوى الشجر من توبة ؟ ! |  |
|      | أبي أنا وحدي نسي                         |  |
|      | أرى نبرات الثمبو م تعصف بالوحدة          |  |
| همام | : حبيبة قلبي ! أقلي عليّ من الغيرة       |  |
|      | هلمّ ادخلي للفؤاد وافضي إلى الحبلة !     |  |
|      | فهل تمدين بها لغيرك من عُقدة ؟           |  |

- حسن : كذا فلتكن لي في حياتي وفي موتي  
فما في حياتي خشيتُ بل بعدها خشيتُ !  
حيي اغتسم ساعة من الصفو والبهجة !  
فقد لا تطول حيا نبي ، وتقصر بي مدتي !  
همام : دعي عنك هذا ، وقو لي سوى هذه الجملة  
بربك لا تذكرني لنا شبح الفرقة !  
فلم نسترح بعد من متاعها الجملة  
ولم نقض بعض اللبا نة من هذه اللقية  
حيي لا تلحني واشفق على عيرتي !  
حسن : ( تهكي ) أحسُ كان الجما م مني على خطوة !  
ويهمس لي خاطري بأنني على رحلة !  
همام : دعي عنك هذي الوسا وس ، جسمك في صحة  
ووجهك هذا الجميم ل يتبع بالنضرة  
وسوف تجوزين غم ر جلدك والجدة  
حسن : سَلِمْتُ حيي لي !  
همام : ولي أنست يا بُني !  
حسن : لقد زال عني الذي شعرت من الخيفة  
وذابت همومي منك في كوثر الجنة  
همام : فديتك ! أحسن ستبقى بييتي كالشـمعة !  
وتأذن لي بالرحيل لأم القري مكية  
وتدعو لي الله أن يقصر من غيبي  
كما تترجأه أن يحقق لي طلبتي

: أَحَجُّاً تُرِيدُ ؟

حسن

همام

: أَجَلٌ وشيئاً من القربة

لأسعى هناك لتزويد حج خلّتي من خلّتي

عمدٌ جلفُ الفراش ينوءُ من العلّة

أضرّ به اليأس في هـواه لعلّويّة

وأحشى عليه المنّة من هذه الصدمة

وأحسّرني أنسه عمتُ إلى العترة

وأنّ بأمّ القُرى معالِمَ ذي النسبة

فقد جاء منها أبو هـ إلى هذه البلدة

وفتش في النسوة الـ شرائف عن زوجة

فقالوا له : لانتما لك في بيتنا أثبت

فثارت به غضبة وبورك في الغضبة ا

ومالت به عزة وبورك في العزة ا

وقال إذا لم يكن لديّ سوى نسبي

فلا ببارك الله في خلالي ولا همّتي ا

وزوجه ذو الجلال من أمه البرة

فعاش سعيد الفؤاد بها هانيّ العشرة

كلما عن أبي أمّه حكى مُجمل القصة

: همام ! يُؤمن الإله به وفي الحفظ والعصمة ا

يرافقك الله في خطّتي هذه السّفرة

وإنسي لـسـرورة برعيتك للصّحبة

ومن كمحمد في ولائك والذمة ا

حسن

بِحَبْلِكَ عَطْفِي عَلَيَّ وَحَبْلِي لِعَلَّوَيْتَ  
 أَلَمْ يَسْعِياً قَبْلُ فِي دُخُولِكَ فِي عَصَمِي ؟  
 أَلَمْ يَذْلا الْجُهْدُ فِي هِنَائِكَ أَوْ غَبَطِي  
 وَقَدْ عَدْتُهَا أَمْسٍ وَهِيَ تَقَعُّعُ بِالزَّفَرَةِ !  
 بِنَفْسِي تَرِيدُ الْحَيَاةَ عَلَى جَسَدِ مَيِّتٍ !  
 تَنُوحُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَزْخَرُ بِالْحَسْرَةِ !!  
 وَقَدْ أَفْذَتْ دَمْعُهَا شَبَكِي بِلا دُمْعَةٍ !  
 رَثِيتُ لَهَا يَا هُمَامُ ! وَخَفْتُ عَلَى خَلْقِي  
 لِأَنِّي أَرَاهَا تُشِيرُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ خُفْيَةٍ !  
 فَمَنْ أَجْلُهَا يَا هُمَامُ شُكُوكِي فِي صَحْفِي  
 وَاحْسَاسُ قَلْبِي بِأَنِّي قَرِيبٌ مِنَ النُّقْلَةِ  
 وَلَكِنْ لَعَلَّ الْإِلَهَ يَكْشِفُ مِنْ عَنِّي  
 سَامِضِي لَتُبَشِّرَهَا وَتَقْرِجُهَا بِأَلْفِي  
 لَعَلَّ بِهَا أَنْ تَكْفُفَ مِنْ عَلَنِ اللُّوْعَةِ !



## المشهد الثالث

( محمد على فراش المرض . ليس عنده سوى أمه  
المعجوز تعلمه من حين إلى حين وتدخل عليه الخادم بمكتوب فيفضه  
يهد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه ) :

يا حبيبي ! مني عليك سلامٌ وسلام الرحمن فوق سلامي  
يا حبيبي ! إن المنيّة حاتمٌ كلنا شاربٌ بذاك الجحام  
والسعيد الذي يموت سليمٌ الـ قلب عَفَّ الرداء من كل ذام  
فمتى حواءك النعيُّ يموتي فترحم على شهيد الغرام !  
أنا في النزاع يا حبيبي فصيرًا لا تَضَعُضَعُ لحادث الأيام  
ووداعًا إلى اللقاء! على الكو ثرا في الخلد! في جوار السلام!  
إن تحملُ بيننا الحياةُ ففي الخلد سد سنحطى بلقيّة ووثام  
سيرى الحائلون دون الجبيّة من جزاء الإله ذي الانتقام  
علوية

محمد : ( يتقلب على الفراش ذات اليمين وذات اليسار بمجد  
ومشقة )

هي في النزاع! آه ما أعظم الخطـ ب وأقسى على فؤادي النامي!  
هي في النزاع! ربّ هون عليها! حسبها ما رأت من الآلام!  
منعوها الحياة ظلمًا فأودوا بجماعة بريّة الأحلام  
رب! لاخير في الحياة! فألحقـ نني بها واكفني عناء السقام  
هي روح الوجود مني وما يُصنـ صنع بعد الأرواح بالأجسام ؟

أَكُنَّا نَعْرُكُ الوجود ولم نَحْ — ظَ بَوصل ، ولم نَفْزِعْ بِمِرام ١٩  
أَكُنَّا يُرْفَع البساط وما دا رَتْ عَلَى العاشِقِينَ كَأْس مدام ؟

( يَحاول أن يَنحرف إلى جَنبِهِ فلا يَستطيع من الضَعْف والإِعياء )

رب ماذا أَجِسُ ؟ هَذَا قُصور عَجَبَ في مفاصلي وعظامي ا  
خار جسمي فما أَطيق حراكًا ! وتَناهت بُرودة الأقدام  
ما لِرأسي أَضحى عَلَيَّ ثَقِيلاً وَجفوني يُغْرِينَنِي بِالمِنام ا  
ويدي لا تَطيق حَمْل سِوَاكِ ا وَلِسانِي تَعَثَرَت بِالكلام ا  
وفَوادِي دِقَاتِهِ تَسْوالِي عَلَ هَذَا نَذِيرُ قُرب الحِمام  
( يَتَذَكَّر صَدِيقَهُ هَمَامًا )

أَيْنَ وَلَيْ هَمَامٌ ؟ يا لَيْتَهُ عَندي أَرَاهُ في مُتَهَي أَيامي ا  
نَصرَ اللَّهِ وَجَهِهِ مِن صَدِيق غَلِص لي عَلَى مَدَى الأَعوام  
كَم هَدَانِي مِنَ الضلال، وَكَم عَبَد سُبُل الحِياة مِن قَدَّامِي  
أَم صَوَّبَ الحِجازَ في لَفْجَةِ الصيَد ف حَرِصًا عَلَى قِضاء مِرامي  
لِيس يَلِدَري أَنِّي بِمَلَرَجَةِ المِو تِ وَأَنِّي عَلَى شَفِيرِ الرُّجام  
وَمَضَى غَيرَ عَالَم أَن حُسْنًا مُنِيتَ بَعْدَهُ بِجُمُئِي لِزام  
لِيت شَعري إِنْ جَاءَ نَعِي هَمَامًا ثَم ماذَا تَكُون حَال هَمَام ؟  
أَوْ أَصِيبَت - لا قَدَرَ اللَّهُ - حَسَنٌ فَهِيَ أَدهى فَجائِعِ الأَيام ا  
وَهُوَ في غُربَةٍ وَلِيس لَدِيهِ مِن يَهْدِي فَوادِهِ المِترامي ا  
مُنَّ يا رَبِّ بِالشِّفاءِ عَلَیْها لا تَنزِها رَمِيَّةً لِلسَّهام

\* \* \*

إِنْ مِن خَلْفِها قَتَى يَنصُرُ الحَقَّ جَهارًا وَعَن هَذاكَ بِحامي

شع من هديه على القطر نور  
واستعداد الجمود سلطانة الضحك  
هي سلوانه الوحيد من الدنـ  
عونه إن جنى الجهاد عليه  
( يمسك بيديه على أضلاعه )

يا فؤادي دنا الخلاص ! قصيراً  
وستلقى الحبيب في ربوة الخلد  
وسأخذو إلى الإله فيعفو  
وسأشكو إليه من رزأوني  
وأراقوا دمي البريء ، وضحووا  
تخلوا الدين جنة يتوقرو  
فسيدرون أنني علوي  
غير أن الحمام أهون عندي  
وادعائي به على الناس فضلاً  
عز دين الإسلام ! قد جعل النا  
لم يدع ميزة لزيد على عمـ

سوف تسلو هذي الجراح النوامي !  
سد يحبك تغره باهتسام !  
عن ذنوبي وسالف الآثام  
- في ربيع الحياة - في أحلامي  
بحبيبي في مذهب الأوهام !  
ن بها في الوري سهام الملام  
تنتهي نسبي لخير الأنام  
من فعاري بالجد والأعمال  
يتقاضاهم رسوم احتراممي !  
س سواء في شرعه المتسامي  
سرو ، ولا حارث على همّام

( يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترونو إليه  
في ذهول وتحداد دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى )  
إصبري يا أماه ! فالله أبقي لك مني ومن جميع الأنام !

( يصرب نظره إلى السماء )

رب رفقا بقلبها المتشظي ! وحنانيك بالدموع الهوامي !  
كن لها إن أنت ضحى بطعامي فتسادي وليس رب الطعام !  
كن لها إن أنت سريري لايقا ظلي ؛ فترتد عنه والقلب دام !

( تنحدر من عينيه دمعتان كبيرتان ويدخل في دور  
الاحتضار الأخير )

( بصوت متقطع )

رب ! من ذا أرى ؟ ملائكة اللو ت ؟ ألا مرحبا بوفد السلام !  
رب ! إني آمنت أنك أنت الله رب الجلال والإكرام  
ونبيي عماد سيد السادات طه إمام كل إمام  
كل زادي إليك خالص توحيد لدي فهد لي يا رب حسن الختام

## المشهد الرابع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه  
موزع البريد ويسلم إليه بريقة من عدن . يوقعها همام فيخرج  
الموزع .

همام : ( بيده البرقية لم يفتحها بعد )

برقية ! ما شأنها قل لي ؟ هل مات لي أحد من الأهل ؟  
إنني أحس كأن حادثة جللا ستُفجعنني على مهل  
يا برق ماذا أنت تحمل لي إنني أراك تنوء بالنقل !  
قلني يحدثني ؛ ولم أره يوما يحدثني على جهل

( يفتح البرقية ويحيل نظره فيها بسرعة )

ماذا ؟ أماتوا ؟ أماتتُ حُسنٌ ؟ واكبدي  
رباه ..! خذ بيدي ! رباه ..! خذ بيدي !  
( يسقط من مecedه على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران  
له من الحجاج هبة سقوطه فيفتحان عليه الباب حيث يجذانه

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء و يرشه  
على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى  
غير اللقاء ! وواحزني وواكمدي ؟  
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به  
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !  
كأنما أنا لم أخلق لأشهد من  
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !  
اليوم أسكب دمعي غير منقطع  
إن غاض دمعي بمذة دم الكبد !  
يا رب لم يبق لي في العيش من أرب  
فلقني راحتي في هذه البلد !  
( ينظر مرة ثانية في البرقية )

أماتت إذا حسن؟ ومات محمد وماتت على أثر السقام فتاته !  
ثلاثة أحبابي يوم فقدتهم ! فيا لفؤاد أنجبت طعناته ؟  
ينوب من الشكوى ويدي من الأذى وليس إلى غير الإله شكاته  
محمد يا خير الأخلاء ! والذي صفت مثلاً تصفو المدام صفتاته  
حزانيك لا تبعدا لمن أنت تاركني ؟ لقاسي زمان أولعت بي عذاته ؟  
ويا ساعدا الإصلاح والباسل الذي به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أَمْضِي وَلَمْ نَهَيْكَ مِنَ الْجَهْلِ سِوَهُ      وَمَا انْفَضَّ عَنْ صِرْحِ الْجُمُودِ حُمَاتِهِ ؟  
 أَمْضِي وَفِي جَنِّبِكَ قَلْبٌ مَعْطُوشٌ      مِنَ الْحُبِّ لَمْ تَبْلُلْ بِوَصْلِ لَهَاتِهِ ؟  
 أَحِينَ ظَفَرْنَا بِاتِّسَابِكَ وَاضْحًا      تُفِصُّ بِهِ حَلَقَ الْحَسُودِ شَجَاتِهِ ؟  
 أَحِينَ ظَفَرْنَا بِاتِّسَابِكَ وَاضْحًا      تَكْفُ بِهِ طَرَفَ الْحَسُودِ قَذَاتِهِ ؟  
 وَكَنتَ عَلَى قَابِ مِنَ الْوَصْلِ هَائِلًا      تَطْلُقُ عَنْ غُرِّ الْمَنَى بِسَمَاتِهِ ؟  
 وَأَنْتِ قَتَاةُ النُّبْلِ وَالطُّهْرِ وَالْحَجَى      تَغْشَتْكَ مِنْ رَوْحِ الرِّضَى نَفَحَاتِهِ  
 لِمَضَاعَفَ مِنْ حَزَنِي فِرَاقِكَ أَنَّهُ      فِرَاقٌ بِهِ لَاقَتْ حَيِّبِي وَفَاتِهِ  
 أَرَاكِ وَفَاءً مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَهُ      فَدَيْ حَيِّبٍ بِالْوَفَاءِ مِمَاتِهِ  
 وَلَمْ أُنْسَهُ لِمَا رَأَيْتُكَ مَرِيضَةً      فَجَاشَتْ بِهِ فِي مَشْهَدِي حَسْرَاتِهِ ؟  
 ( تَنْهَمِرُ دُمُوعَهُ )

يَقُولُ : كَأَنِّي بِأَهْمَامٍ سَأَنْتَهِي      كَأَنِّ جِمَامِي قَدْ أَقِيمْتُ صَلَاتِهِ !  
 فَقُلْتُ لَهُ : دَعْ عَنكَ وَهْمَكَ، إِنَّ ذَا      عَيْتِكَ نَضُرُّ لَمْ تَحُلْ قَسَمَاتِهِ !  
 فَاصْغِي لِقَوْلِي وَأَطْمَئِنِّ فِرَادَهُ      وَفَرَّتْ - عَلَى شَجَرِ الرَّدَى - رَجَفَاتِهِ  
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّنِي أَنَا وَاهِمٌ      وَأَنَّ حَيِّبِي صَادِقُ كَلِمَاتِهِ !

( يَرِيدُ أَحَدَ الْجَارِينَ أَنْ يَقِيمَ هَمَامًا مِنَ الْأَرْضِ فَيَجْذِبُهُ )

( صَاحِبُهُ )

دَعَاهُ يُرْسِلُ دَمْعَهُ      مِنْ يَكِي الشَّجْوِ اسْتَرَا ح  
وَإِذَا مَا كَبَّتِ الْـ      حُزْنٌ فِي جَنِيهِ طَا ح  
الجار : وَيَحْهُ مِنْ مُوَجَّع      دَمِيتُ مِنْهُ الْجَرَا ح  
صاحبه : مَا عَلَيْهِ الْآنَ بَأ      سَ وَقَدْ صَا ح وَنَا ح  
همام : حَبِيبِي ! مَا لِي فِي رِثَائِكَ مَقُول      كَانَ فَمِي شَكْتُ بِرَمَحِ لَهَاتِهِ !  
رِثَاؤُكَ فِي قَلْبِي يَهْدِي أَضْأَلِي      وَتَلْفَعُ فِي أَحْنَائِهَا ضَرْبَاتِهِ  
وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّعْرُ وَصْفًا لَهْوَلِهِ      وَتَقْصُرُ عَنْ تَصْوِيرِهِ خَطَوَاتِهِ  
عَلَى أَنَّهُ الشَّعْرُ الَّذِي الشَّعْرُ دُونَهُ      سَرَتْ فِي الْوَرَى مَسْرَى الضَّحَى يَبْنَاتِهِ  
وَإِنْ قَرِيبُهَا أَنْتَ مُصَلِّرُ وَحْيِهِ      لَتَسْجُدَ غُرَّاهُ لَهُ وَمَنَاتِهِ !  
يَمِيلُ بِعَطْفِ الْكُونِ قَدْسِي لَحْنِهِ      وَتَعْلُبُ فِي سَمْعِ الدُّنَى نَغَمَاتِهِ  
تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الْبَلَاغَةِ دُونَهُ      وَتُزْهِى بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ رَوَاتِهِ  
تُغْصُّ بِهِ حَسَادُهُ وَهُوَ سَائِغٌ      وَأَقْتُلُ مَاءَ لِلْحَسُودِ فِرَاتِهِ  
وَلَكِنَّ الْخُطْبَ الَّذِي الْخُطْبَ دُونَهُ      تَلْقَاهُ قَلْبٌ لَا تَلِينَ صَفَاتِهِ  
وَلَوْ غَيْرُهُ أَضْحَى بِهِ بَعْضُ ثَقْلِهِ      لَقَامَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَسَاءِ نَعَاتِهِ  
فَهَا هُوَ ذَا قَلْبِي كَسِيرًا مَحْطَمًا      تَقِيضُ دَمًا نَحَاجَةً حُبَاتِهِ  
لَمَنْ أَطْلَبَ الْعَلِيَاءَ بَعْدَكَ ؟ إِنَّمَا      حَلَّتْني إِلَيْهَا مِنْ سَنَاكِ حُدَاتِهِ !  
وَأَيْنَ سَبِيلُ الْجَدِّ بَعْدَكَ ؟ إِنَّمَا      بَنُورُ عِيَاكِ الْجَمَلَتْ ظِلْمَاتِهِ  
فَأَنْتَ الَّذِي عَلِمْتَ نَفْسِي رُكُوبَهُ      وَلَوْلَاكَ مَا ذَلَّتْ لَهَا صَهْوَاتِهِ !  
وَلَقَتْنِي حُبُّ الْهَدَى وَجْهَادُهُ      وَلَوْلَاكَ مَا اجْتَبِزَتْ لَهَا عَقْبَاتِهِ  
أَلْمُضِي وَمَا جَفَّتْ رِيَا حِينَ غُرْسَنَا      وَمَا بِرَحْتِ بَسَامَةِ زَهْرَاتِهِ ؟  
أَلْمُضِي وَلِمَا يَشْفِي قَلْبِي أَوَامُهُ      وَمَا شَقِقتُ أَكْمَامَهَا صَبَوَاتِهِ ؟  
سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ الْحَبِيبِ وَرَحْمَةٌ      وَغَيْثٌ رَضِي مَا تَنْتَهِي قَطْرَاتِهِ



لئن كان أنسي في الحياة لقاءه فأنسي وهمي بعده ذكرياته !  
 كأنني بالثغر الجميل على فمي ترف به في نشوة قبلا له !  
 كأنني بالفرع الجميل بمنكبي تداعبني في عرفها خصاله !  
 كأنني يميناه تحول بفرقي فتلتهما في نشوة شعراته !  
 لئن حالت الأيام بيني وبينه وقُدر للشمل الجميع شتاته  
 ففي جنة المأوى غدا سوف نلتقي بفضل كريم لا تُحد هباته  
 وإن عزاء القلب لإيمانه به وقد فارقه في الحياة حياته  
 ( ينهض فجأة )

خلوني خلوني إلى المسجد خلوني إلى الحجر الأسود !  
 خلوني إلى زمزم عليها تُبرد من جوفي الموقد !  
 خلوني لأستار بيت الإله أشد بها في ابتهاج يدي  
 دعوني أذهب إلى خالقي دعوني أذهب إلى سيدي !  
 دعوني أحط على بابيه يُقال الدموع وأسْتَفِد  
 فإن أحي على لطفه وإن يأتني الموت أستشهد

( يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جاراؤه . يقصد زمزم  
 فيكرع من مائها يعوضا ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف  
 تجاه الملتزم ويتعلق بستر البيت :  
 الحمد لله أطمأن قلبي ! هأنذا بين يميني ربي ؟  
 إن عظمتم مصيبي وخطيئتي فالله يرعاني وهو حسبي !

يا رب أنت الواحد القهار وأنست ذو الرحمة والجلال  
تفجرت من نورك الأنوار وقصرت عن كنهك الأفكار

\* \* \*

يا رب لا نقض لما أبرمتنا ! فرضني رب بما حكمتنا  
لعلني أجهل ما علمتنا من صالح لي في الذي أقمنا

\* \* \*

يا رب ألهمني العزاء الشافي ! واضيد جروحي منك بالألطاف  
وآتني عزائم الأسلاف فأنت لي الكافي ونعم الكافي

\* \* \*

وأولني مناي في الدارين (حسناً) اجمع بينها وبينني  
في دار علد بين جنتين أقرر بذلك عينها وعيني

\* \*

يا رب وارفع (أمة الإسلام) واقذِف بها إلى المقام السامي  
حتى ترى خفاقة الأعلام على جميع الكون بالسلام

\* \* \*

وَوَحَّدَ ( العُرْبَ ) ، فَإِنَّ الْوَحْدَ تَحْيِي لَهَا مَاضِيَّهَا وَعَهْدَهُ  
تَعِيدُ بَعْدَ الْإِنْدِرَاسِ بِحَدِّهِ وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ يَوْمًا وَعْدَهُ

\* \* \*

وَانْظُرْ إِلَى ( الْأَحْقَافِ ) بِالرَّعَايَةِ وَأُولَئِهَا بِفَضْلِكَ الْعَنَايَةُ  
بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْهُدَايَةِ فَجَلَّ عَنْهَا الْجَهْلُ وَالْعَمَايَةُ

\* \* \*

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ  
وَأَلِّهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ مَا طَلَعَتْ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ

\* \* \*

هَذَا وَقُوفِي خَاشِعًا بَيْنَ يَدَيْكَ ! وَتَائِبًا مِنْ كُلِّ آثَمِي إِلَيْكَ  
مُتَّكِلًا فِي كُلِّ أَحْوَالِي عَلَيْكَ لَيْسَ بِكَ يَا رَبِّ الْجَلَالُ لَيْسَ بِكَ !

\* \* \*

( سِتَارُ الْخَتَامِ )

## للمؤلف

- ١ - هُمام أو في بلاد الأحقاف
- ٢ - أخناتون ونفرتيتي
- ٣ - سلامة القس
- ٤ - والإسلاماء
- ٥ - قصر المودج
- ٦ - الفرعون الموعود
- ٧ - شيلوك الجديد
- ٨ - عودة الفردوس
- ٩ - روميو وجوليت ( مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل )
- ١٠ - سر الحاكم بأمر الله
- ١١ - ليلة النهر
- ١٢ - السلسلة والغفران
- ١٣ - الثائر الأحمر
- ١٤ - الدكتور حازم
- ١٥ - أبو دلامة ( مضحك الخليفة )
- ١٦ - مسمار جحا
- ١٧ - مسرح السياسية
- ١٨ - مأساة وأديب
- ١٩ - سر شهر زاد

- ٢٠ - سيرة شجاع
- ٢١ - شعب الله المختار
- ٢٢ - إمبراطورية في المزد
- ٢٣ - الدنيا فوضى
- ٢٤ - أوزوريس
- ٢٥ - فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات )
- ٢٦ - دار ابن لقمان
- ٢٧ - قطط وفيران
- ٢٨ - إله إسرائيل
- ٢٩ - هاروت وماروت
- ٣٠ - الزعيم الأوح
- ٣١ - جلفدان هائم
- ٣٢ - قاب قوسين
- ٣٣ - الفلاح الفصيح
- ٣٤ - ملحمة عمر ( ١٨ جزء ١ )
- ٣٥ - جبل الغسيل
- ٣٦ - هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧

الترقيم الدولي : 4 - 1112 - 11 - 977



مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - النجالة



الشنن ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة  
سميد جودة السحار وشركاه